كتاب اليوم
قطاع الثقافة

مسافر بلا متاع

محمود السعدني

مقدمة

الأدب والحياة

بقلم : رجاء النقاش

هناك كثيرون من الكتاب والأدباء يعيشون حياتهم العادية ، ثم عندما يريدون أن يكتبوا فإنهم ينفصلون عن الحياة ويعتكفون من أجل الكتابة . محمود السعدني لا يفعل ذلك أبدا . إنه يكتب وهو يعيش . فليس أدبه نابعا من الحياة كما يقال .. إنه الحياة نفسها ، تلك الحياة التى عاشها السعدنى واكتوى بنارها ولم يعرف فيها الهدوء والعزلة أو الأبواب المغلقة والنوافذ المسدودة ، فالحياة عند السعدنى لا فرق فيها بين البيت والغيط أو بين العمل والعلاقات الإنسانية المختلفة .. وهذه الحياة تشبه النهر

المتدفق ، فيه الماء والطمى والأعشاب والأسماك والحصى .

وعندما تلتقى بالسعدنى فإنك تجد حوله مجموعة من الأصدقاء القريبين إليه بنفس الدرجة وبينهم الفلاح والعامل وحامل الدكتوراه والفنان اللامع والقهوجى والصحفى الناشىء ولواء الشرطة والمقاول وشيخ المسجد والمصلى فيه وقارىء القرآن والرسام ، والذى يطلب عونا والذى يمنح العون . أشكال وألوان من البشر ، فى ذلك الصندوق العجيب الذى يشبه صندوق الدنيا والذى كنا نسميه فى طفولتنا باسم صندوق العجب ، وهو الاسم الصحيح بغير تعديل ولا تحريف .

السعدنى يكتب وهو غارق فى حياته ، إنه يكتب ويعيش فى نفس اللحظة والكتابة والحياة عنده لهما نفس المعنى ، فارتباط الكتابة بالحياة ظاهرة أساسية فى كتابة السعدنى تليها ظاهرة ثانية .. لقد أمسك الفقر برقاب الكثيرين من الشخصيات التى كتب عنها محمود السعدنى هؤلاء الذين يعيشون على هامش المجتمع لا يعترف بهم أحد وليس لهم بعد مكان فى واقع المجتمع .. هذا الفقر تحول فى كتابات السعدنى إلى نوع من الأدب الغنائى الجميل . فقد اكتشف السعدنى بموهبته وعمق تجربته تلك

الجوانب الإيجابية التى يكتشفها أذكياء الفقراء ويفترضون وجودها فى فقرهم حتى يتمكنوا من احتماله إلى أن يشاء الله ، ومن هذه الإيجابيات ما كان الفقر يعطيه للإنسان من حرية الحركة بدون قيود أو التزامات . ومن إحساس شديد الرحابة بامتلاك الزمان والمكان فهم يمتلكون الشوارع وشاطىء النهر وأطراف الصحراء والحقول المزروعة والأرض الجرداء ، وكانوا يمتلكون الزمان كله فيلتقون فى منتصف الليل أو عز الظهيرة ، ومما ساعد محمود السعدنى على أن يكتشف الجوانب الإيجابية فى حياة الفقراء ويصورها فى سخرية غنائية جميلة ويلتقط منها صورا حية مؤثرة أن السعدنى كان قد استطاع الإفلات منذ البداية من الفقر الساحق الذى لا يتيح لصاحبه أن يلتقط أنفاسه واستطاع مع مجموعة من الأصدقاء مثل عبد الحميد قطامش وزكريا الحجاوى أن يصبحوا من كبار الفقراء وأعيانهم وعلية القوم فيهم ، وقد أتاح له هذا الأمر العجيب ما يتمتع به إلى جانب موهبته الأدبية من صفات أخرى هى جزء لا يتجزأ من شخصية السعدنى وعلى رأس هذه الصفات أنه أحد الساخرين اللامعين ، بل إنه أكثر الساخرين فى جيلنا شمولا وخصوبة .

صحيح أن محمد عفيفى - رحمه الله - كان ساخرا عظيما جدا ونادرا كل الندرة عندما كان يمسك بقلمه ، ولكن محمد عفيفى كان وديعا فى حياته وسلوكه مثل العصافير ، بل كان مليئا بالخجل والحياء والرغبة فى الانسحاب من المجتمع أما السعدنى فهو ساخر « مسلح » أى أنه ملىء بالجراة والجسارة والقدرة على الاقتحام ، ويكفى أن يظهر السعدنى على مسرح جلسة من الجلسات مهما كان فيها ممن قد يكونون كبارا فى الثروة والمركز أو الوضع الاجتماعى حتى تتحرك الكهرباء التى فى السعدنى فتزيل الفوارق بينه وبين الآخرين وتسقط الحواجز ، ثم تنفتح الأبواب المغلقة والنفوس المتحفظة وتخرج أسرار الناس المختبئة فى أعماقهم إلى الضوء والنور .

وهكذا أتيح للسعدنى أن يعرف الكثير من أسرار المجتمع بمن فيه من الميسورين والفقراء على السواء ، مما أعطاه تلك المادة الإنسانية الغزيرة فى كتاباته ، ويجب الا ننسى بعد ذلك كله ما للمكان من أهمية بالغة عند السعدنى .. فارتباطه الوجدانى بالمكان يكاد يكون سرا من أسرار كتاباته وشخصيته وحياته ، وهو من هذه الناحية - ناحية الالتصاق بالمكان - يعتبر من مدرسة نجيب

محفوظ . فنجيب قد ظل فى حياته كلها وأدبه كله يرفرف بوجدانه حول منطقة الحسين الشعبية بشوارعها وحواريها الضيقة وملامحها الإنسانية الخاصة ، حتى أصبحت هذه المنطقة الشعبية هى الواقع والرمز معا فى أدبه ، فالعالم عند نجيب محفوظ هو الحارة ، والقوة عنده - فى هذه الدنيا - تتمثل فى الفتوات ، والجمال الأنثوى فى معظم رواياته هو الجمال الذى تمثله بنت البلد الشعبية فى خان الخليلى وزقاق المدق ، والحرافيش فى هذه البيئة هم أبناء المجتمع وهم أيضا رمز للجنس البشرى كله .. إن خيال نجيب محفوظ ووجدانه وعاطفته ورؤيته لمشاكل المجتمع ومشاكل الإنسانية قد ارتبطت جميعا بهذه البيئة الشعبية التى لم تفارق خياله قط ، ولم يستطع أن يبتعد عنها فى يوم من الأيام .

السعدنى من هذه المدرسة ، فهو أيضا مرتبط بالمكان ويشعر دائما أن هذا المكان هو المجتمع وهو الحياة ، ومهما ابتعد عن هذا المكان بجسمه فهو متشبث به عن طريق وجدانه وعقله . وهو لا يحس بمعنى للحياة خارج هذا المكان .. والمكان عند السعدنى هو الجيزة بحواريها وأزقتها الضيقة وأبنائها الذين يعيشون فيها هم وأهلهم ، جيلا بعد جيل . ولذلك فإن لغة السعدنى من شدة تأثره

بالمكان الذى عـاش فيـه وكان على الدوام عـاشقـا له ولم يستطع أن ينفصل عنه حـتى لو كان فى أقصى الأرض .. لغة السعدنى ابن الجيزة لها صوت مسموع ، فكانك وانت تقرا له تسمعـه فى نفس الوقت وهو يتكلم ويقفز من بين الكلمـات والعبـارات والسطور . إن الأصول الجـيـزاوية الشـعبـية عند السـعدنى قـوية جدا وهى المسيطرة على موهبته وأسلوبه وتصويره لكل تجـارب الحياة ونماذجها المختلفة .

ولو وضعت السعـدنى فى لندن أو نيويورك أو باريس لسنوات طويلة فإنه لن يرى فى هذه المدن إلا ما عرفه فى الجيزة أو عن الجيـزة وهذا الموقف عند السعدنى يذكرنى بأشـعـار بيـرم التـونسى التـى قـالهـا عندمـا هرب فى بورسعـيد من السفـينة التى كانت تحـمله من دمشق إلى فرنسا ليواصل حياته فى المنفى :

وأقـول لـكم بالصـراحة اللى فى زماننـا قليـلة
عشرين سنة فى السياحة وأشوف مناظر جميلة
ماشفت يا قلبى راحـة فى دى السـنين الطـويلة
إلا ما شـفت البـراقـع واللـبـدة والجـلابيـة

رجاء النقاش

مسـافـر بلا متــاع

فى يوم ٢٣ ديسـمـبر عـام ١٩٨٢ ركـبت الطائرة المصـرية من الشـارقة إلى القـاهرة ، ولم يكن معى متاع على الإطلاق سوى حقيبة سـامسـونايت صغـيرة بهـا اجندة تليفـونات وبعض الأوراق ودوسـيه يضم بعض المقـالات التى كنت أزمع إصدارها فى كـتاب ، ولم أكن قد رأيـت القاهرة منذ مائة شهـر ، مارست خلالها لعبـة دوخينى يا لمونة .. من القـاهرة إلى لندن ومن لندن إلى الإمارات ومن الإمـارات إلى بيروت ومن بيروت إلى ليبـيـا التى مكثت بها عشرين يوما ومن ليبيا إلى مالطة ومن مالطة إلى لندن ومن لندن إلى الإمـارات من جـديد ومكثت هناك ثمـانيـة أشهـر ثم اضطرتنى ظروف مـعينة إلى الرحـيل إلى الكويت ومكثت فى الكويت سـتة أشـهـر ، ثم اضطرتنى ظروف قـاسيـة

للسفر إلى العراق حيث مكثت هناك مع أسرتى لمدة ست سنوات استأجرت منزلا لأسرتى فى بغداد وألحقت أولادى بالجامعة .. وعدت من جديد إلى لندن حيث أصدرت إحدى المجلات هناك وأصبحت مثل الخواجا كيسنجر أقوم برحلات مكوكية من لندن إلى بغداد وبالعكس . ثم تركت بغداد فى العام ١٩٨١ مع ابنى أكرم وسافرت إلى الشارقة ، ومكثت فى الشارقة حتى حدث حادث المنصة وبقيت هناك حتى عدت إلى بغداد مرة أخرى حيث قمت بتسفير أسرتى إلى القاهرة وذهبت أنا إلى الشارقة ، ومن هناك ركبت الطائرة المصرية إلى القاهرة . عندما انفتح باب الطائرة على أرض المطار وجدت أسفل السلم ثلاثة أشخاص فى انتظارى : اللواء فؤاد علام من مباحث أمن الدولة مندوبا عن وزير الداخلية حسن أبو باشا وشقيقى الممثل الكبير صلاح السعدنى وابنه أحمد السعدنى وكان فى الرابعة من عمره ولم يكن قد سبق له رؤيتى من قبل ، وكان تعليقه الوحيد حين رآنى : إيه دى يا بابا عمو من غير راس ، وكان يقصد أننى أصلع ومن غير شعر ، وتناول اللواء فؤاد علام جواز سفرى وأعطاه لأحد رجال البوليس لكى ينهى الإجراءات ، واصطحبنى فى سيارة مع صلاح وابنه ،

ووجدت نفسى خارج المطار . لقد أصبحت أخيرا فى مصر .

استفتاء شعبى

يا ألف مرحب بمصر وبناسها وبأرضها وبهوائها وشمسها ،وبكل حفنة تراب فيها ، وعلى الرصيف استأذن اللواء فؤاد علام ومضى إلى حال سبيله . وصحبنى صلاح السعدنى فى سيارته وراح يشق طريقه فى شوارع المدينة التى تغيرت كثيرا بعد هذه الغيبة الطويلة ولكن على رأى شارلز ديكنز .. من أنا الذى يعيب على المدينة أنها تغيرت وقد عدت إليها أنا نفسى وقد غيرت منى الأيام . هأنذا بلا رأس على رأى الولد الشقى ابن صلاح وبلا عمل لأنى مفصول بقرار جمهورى باطل ولا أمل فى أى عمل آخر لأننى ممنوع من العمل فى أى فرع من فروع الإعلام بمقتضى استفتاء اشترك فيه الشعب المصرى كله وجرى بإشراف وزير الداخلية النشيط السيد النبوى إسماعيل . وقد وافق الشعب المصرى كله بنسبة ٩٩,٩٩٩ على عدم اشتغال أمثالى من المتهمين فى قضية مراكز القوى فى أى مجال من مجالات الإعلام . استفتاء شعبى لا يمكن تجاهله أو تجاوزه أو القفز عليه . ماذا يخبىء القدر للعبد لله ؟ وما الذى تخفيه

الأيام القادمة ؟ شعرت بأسف شديد وخوف من المستقبل ، وتصورت أنى جئت قبل موعدى ، ولكن ظنى كان خاطئا ، ومخاوفى كانت على غير أساس ، وبعد ثلاثة أيام من عودتى إلى القاهرة ، كنت أجلس مع الرئيس حسنى مبارك في حديقة منزله ، واكتشفت خلال اللقاء أن الرئيس حسنى مبارك ليس من النوع الذى يحاسب الناس على ما فى أدمغتهم ولا يحاسبهم على مواقف سابقة ، ولكن الحساب عنده يبدأ من أول وجديد . أغلقت الملفات القديمة وتم فتح ملفات جديدة ، والحساب على أساس الانتماء الوطنى والالتزام بالقيم والأخلاق ، ولا خلاف إذا اختلفت معه فى السياسة ، مادام الاختلاف بالقلم أو باللسان ، الأمر الوحيد المحظور أن تستخدم السلاح فى النقاش أو تستخدم القنابل فى الحوار أو تكون المطواة قرن الغزال هى وسيلتك فى الإقناع . بعد ذلك كل شىء مسموح به وكل شىء مباح . وبعد أيام قليلة من مقابلتى لحسنى مبارك كنت جالسا خلف مكتبى فى روزاليوسف نفس المكان الذى كنت أعمل فيه قبل المحاكمة والسجن والهجرة للخارج . واختلفت مع القيادة القديمة لروزاليوسف فآثرت الابتعاد ونشر مقالاتى على صفحات المصور بلا أجر منذ بدأت وحتى الآن مكتفيا بمرتبى من روزاليوسف . وعارضت الحكومة كثيرا

واختلفت مع الحزب الوطنى ، وهاجمت وزراء ومحافظين ومسئولين كبارا ، واختلفت مع كامب ديفيد واتفاقية السلام ولم يستوقفنى أحد ولم يلفت نظرى أحد . وكنت ألتقى بالرئيس مبارك فى مناسبات كثيرة ولم أجد منه إلا كل الود والترحاب . وامتد نشاطى إلى الأهرام الرياضى مع إبراهيم حجازى وإلى مجلة الشباب مع عبد الوهاب مطاوع وإلى أخبار اليوم مع إبراهيم سعده ، وامتد نشاطى إلى الوطن العربى ، فنشرت فى البيان فى دولة الإمارات وفى الشرق الأوسط فى لندن وبعدها فى صوت الكويت فى لندن أيضا .

العائلة كلها

وبالرغم من الاستفتاء المشهور إياه الذى منعنى من الاشتغال فى أى مجال إعلامى ، فقد أصبحت الآن عضوا بالمجلس الأعلى للصحافة ولعل السيد النبوى إسماعيل سيشعر بالضيق الآن ، لأن الاستفتاء الذى أشرف على تنفيذه بكفاءة منقطعة النظير قد دفعنى إلى أعلى بدلا من دفنى فى التراب ، وابنى أكرم يعمل صحفيا فى روزاليوسف ، وابنتى هالة تعمل مذيعة فى التليفزيون المصرى وهبة تعمل فى مؤسسة الأهرام وحفيدى محمود أكرم السعدنى وعمره خمس سنوات يتدرب الآن ليعمل

محررا فى الأهرام وربما فى الأخبار وربما فى مجلة آخر ساعة وهو أضعف الإيمان .

هل كان يمكن أن يحدث هذا فى ظل رئيس آخر غير حسنى مبارك فى مصر . اليوم لا توجد نية مبيتة للإيقاع بك ولا توجد فخاخ منصوبة على الطريق للإمساك بك ، أشعر شعورا حقيقيا الآن أن أسعد سنوات حياتى بدأت سنة ١٩٨٣ واستمرت حتى الآن . وبالرغم من اختلافى مع الحزب الوطنى ومهاجمتى لكثير من سياسات الحزب وانتقادى الشديد لها ، إلا اننى فى الوقت نفسه صديق للدكتور يوسف والى الأمين العام للحزب الوطنى ، ولبلدياتى كمال الشاذلى . وبالرغم من هجومى المتكرر على الحكومة واختلافى معها بشأن بعض الممارسات ، إلا أننى صديق رئيس الحكومة . وبالرغم من هجومى الشديد على أجهزة الإعلام إلا أننى اعتبر نفسى من أصدقاء صفوت الشريف . وبالرغم من ملاحظاتى على أداء الإدارة المحلية وبعض رموزها الذين تورطوا فى أمور لا تليق ، أجد نفسى صديقا حقيقيا للدكتور عبد الرحيم شحاته محافظ القاهرة والسيد عبد السلام محجوب محافظ الإسكندرية والسيد أحمد عبد الغفار محافظ الغربية ، ولكل الشرفاء والذين يعملون بكفاءة وإخلاص

من كبار رجال الدولة فى كل موقع ، أما خلافى مع الآخرين فقد كان لصالح الوطن وليس من أجل هبرة كدبره على رأى فؤاد المهندس !

صوتى له

والآن وبالرغم من اختلافى مع الحكومة ومعارضتى للحزب الوطنى ودخولى فى معارك مع الأرزقية والمتربحين ، إلا أننى سأعطى صوتى للرئيس حسنى مبارك عندما يحين الوقت لتجديد رئاسته لمصر لفترة أخرى . الرئيس الذى لا يتعقب أحدا من رعاياه ولا يتربص له ولا يختلق الأسباب للإيقاع به ، الرجل الذى أشعر أننى لن أدخل السجن فى ظله إلا إذا ارتكبت جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد ، أو ارتكبت جريمة سطو على خزائن البنك الأهلى ، ولما كانت صحة العبد لله لا تساعده على ارتكاب أفعال من هذا النوع ، فأنا ضامن انى لن ادخل السجن مهما عارضته أو اختلفت معه طالما كان الخلاف فى حدود اجتهاد من أجل مصلحة الوطن ومستقبله ، فهذه مسألة غير محظورة ولا جناح على من يرتكبها من المواطنين . إنه نهج جديد وأسلوب مختلف ، وهذا الأسلوب هو انعكاس لشخصية حسنى مبارك ، فهو لا يحقد ولايغتاظ وليس من النوع الذى يجز

على أسنانه ، ولأنه طيار مقاتل ليلى ، فأعصابه دائما فى ثلاجة ، ولأنه رياضى فمزاجه دائما معتدل إنه لا يشخط ولا ينطر ولا يصرخ فى الفاضية وفى المليانة ، وهو لا يحب المفاجآت ولا الصدمات الكهربائية ولكن كل إجراء بحساب وكل خطوة بقدر .

عمنا حسنى مبارك .. أنا لست عضوا فى حزبك ، ولست وزيرا فى حكومتك ، أنا مجرد كاتب على باب الله أمنحك صوتى المتواضع فى الاستفتاء القادم وفى كل استفتاء قادم ، أعطيك صوتى وأشكرك لأنى أنا المستفيد لوجودك على رأس الدولة ، فأنت الضمانة الوحيدة لكى نضمن العيش بهدوء حتى نهاية العمر جعل الله أيامك كلها سعادة وطمأنينة وأمن .. لك ولنا ولجميع المصريين .

آمين يا رب العالمين !

لا جريدة ولا مجلة

فى بداية حياتى الصحفية أكرمنى المولى العزيز بالجلوس فى حجرة واحدة مع العبقرى الخالد بيرم التونسى ، وكان بيرم التونسى فى نظر جيلنا أسطورة من الأساطير . كان كاتبا ساخرا وشاخرا أيضا ، أصدر أكثر من عشرين جريدة وصحيفة ، ولكن سلطات الاحتلال وقفت له بالمرصاد فطاردته على طول الخط وصادرت جميع المجلات والجرائد التى أصدرها ، وكان القانون وقتئذ يحتم على كل صاحب جريدة أو مجلة الحصول على ترخيص قبل الصدور .

وقد حاول بيرم عدة مرات الحصول على هذا الترخيص دون جدوى ، ولكن هذا الموقف الرسمى لم

يصرفه عن تحقيق هدفه فأصدر مطبوعة باسم المسلة وكتب تحتها عبارة .. لا جريدة ولا مجلة .. ولما كانت لا جريدة ولا مجلة فهى لا تحتاج إلى أى ترخيص من أى نوع . ولأن عمنا بيرم كان شعبيا وبسيطا فقد توطدت الصلة بينى وبينه ، وكان فى لحظات صفوه يحكى للعبد لله عن معاناته فى المنفى وعن دوخة ينى التى تعرض لها فى الغربة . النصيحة الوحيدة التى أسداها للعبد لله .. أن أهجر الأسلوب الساخر الذى أكتب به وأوصانى باتباع الأسلوب الحنجورى بحيث تحمل المقالة عدة أوجه .. تقرؤها فتتصور أنها هجاء ويقرؤها غيرك فيتصور أنها مديح ، كلام من نوع الشواشى العليا للبرجوازية والشفق المذهق على قفا الأفق ، كما يكتب السادة الحناجرة ، أو كلام على طريقة السادة السناكحة نسبة إلى سنكوح بن مزاحم الذى كان واليا على ديوان الإنشاء للقائد أبرهة وكان عليه أن يكتب الرسائل والفرمانات بلغة يفهمها جميع البشر من روم ومن عرب وعجم وفرس وزنوج ، فكان يكتب فى رسالته شيئا من شنذبار يلوح فى السواهيلى ويكشف عن رجل ملم نشطل مكارف مظروم على خوشبى أمديد زغتى !

النمر الجريح

وقال لى عمنا بيرم التونسى : إذا التزمت بهذا الأسلوب الساخر خلال حياتك الصحفية ، فستكون حياتك فى مهب الريح وأيامك أسود من الزيتون المدهون بالورنيش ، ولياليك يا صاحبى أزرق من الهدوم المصبوغة بالنيلة .

لأنه لا يغيظ المسئول إلا أن تتناوله بأسلوب ساخر يهتك ستره ويكشف حقيقته ويمزق الثوب الكاذب الذى يحرص على أن يظهر به أمام رؤسائه ، لأن المسئول عادة ما يكون مثلنا .. غلبان وتعبان ومهزوم فى داخله ، ولكنه يحرص دائما على الظهور وهو فى مكتبه العاجى ، سواء كان محافظا أو وزيرا أو رئيس مجلس إدارة فى صورة تخالف حقيقته ، فيتعمد أن يعوج رقبته أو أن ينفخ أوداجه ، فإذا سخرت منه فقد نكأت جراحه ، واللعب فى الجروح يستفز ويهيج صاحبها ويجعل منه وحشا يتصرف كالنمر الجريح !

لعب عيال

ولكن العبد لله لم يستمع ـ لسوء الحظ ـ إلى نصيحة عمنا بيرم التونسى ، واشهد أننى كتبت سطورا ساخرة تجرح وتدمى فى الوقت نفسه ولم يعترض طريقى أحد .

DVD4ARAB

وتناولت شخصيات رسمية كبيرة فى حجم وقامة زعماء ورؤساء وزارات ، ونشرت سطورى على صفحات مجلة - كلمة ونص - التى كان يرأس تحريرها الفنان مأمون الشناوى ، ولم يتحرك ضدى أحد ، ربما لأننى كنت صغير السن ومجهول الاسم ، وربما اعتبروا سطورى لعب عيال أو شيطنة صبيان ، ولكنى أخطأت الحساب مرة فتناولت رجلا عظيما بكلمات ساخرة . وكان هذا الرجل هو الشيخ مصطفى إسماعيل . وكانت هذه أول دعوى تنظرها المحاكم ضد العبد لله . وهى مسألة غريبة لأننى كنت أعشق مصطفى إسماعيل واتبعه فى كل مكان يذهب إليه . ولكن النكتة حبكت مع العبد لله فكتبت فى نهاية المقال أقول .. والشيخ مصطفى إسماعيل يدخن السجاير .. ويشرب الكازوزة و .. هل أقول .. ؟ لا .. فأنت من عشاق الشيخ مصطفى إسماعيل .. ثم علمت بعد ذلك أن الشيخ لا علاقة له بالدعوى المرفوعة أمام المحاكم ولكنه اجتهاد أحد المحامين النشيطين . وقد تم سحب الدعوى بإشارة من الشيخ نفسه !

الملابس الرسمية

وسخرت جدا من وزراء فى عهد عبد الناصر ، أشهرهم أنور سلامة وزير العمل بخصوص البدلة

الشعبية والمهندس عبد الخالق الشناوى وزير الرى بخصوص الحفل الذى أقامه بخصوص الانتهاء من مشروع هام . وجاء فى بطاقة الدعوة التى وزعها على المدعوين وأنا منهم ضرورة الحضور بالملابس الرسمية . بالنسبة للوزير أنور سلامة انتقدت مسلكه عندما ظهر على شاشة التليفزيون يدعو للبدلة الشعبية بينما كان يرتدى بدلة موهير وقميص نيتو وكرافتة أرجانس وشراب بحربة ولا حربة مقاتل فى أحراش كاتنجا . وبالنسبة لحفل المهندس وزير الرى تساءلت على صفحات مجلة صباح الخير .. ما هى الملابس الرسمية فى نظر الوزير المهندس ؟ هل نحضر بالجلابية السكروتة ؟ أم بالبيجاما والجاكتة الصوف ؟ أم يمكننا الحضور بالفانلة واللباس ؟

والحق أقول إن وزير العمل ووزير الرى وهو مهندس عالمى بكل تأكيد تحملا سخرية العبد لله واعتبراها من باب الدعابة والنقد المباح .

السجن لمن ؟

ولكن .. وبالرغم من القهر الأزلى والعذاب الأبدى .. هل أفضل للكاتب الصحفى أن يعيش عيشة موظف الأرشيف ؟ أم يعيش على سن القلم كما يعيش المقاتل على

حد السيف ؟ هل أفضل للكاتب الصحفى أن يكون مثل بيرم التونسى ؟ أم الأفضل أن يعيش عيشة حيرم التونسى ؟ العبد لله يتمنى أن يعيش عيشة بيرم التونسى وأن أحظى بشرف خدمته فى كل مكان ولو كان فى تخشيبة قسم الخليفة ! ولذلك .. العبد لله ينصح الولد الساخر الناشىء أنور وجدى أن يعود إلى سابق عهده ويتحفنا بلدغاته ضد المسئولين وأشباه المسئولين . وقسما عظما أن أقف إلى جانبه فى كل الأحوال . وندرا على العبد لله أن أتحفك كل أسبوع بعلبتين سجاير وورقة لحمة وسلطانية طرشى ، سواء كنت فى سجن الأوردى أو فى سجن المرج . وزمان كان السجن للجدعان ، وغدا سيكون السجن للصحفيين !

طويل العمر

العبد لله كان قصير النظر وأعمى بصيرة بعيد عنكم . تصورت فى شبابى أن الصحة مستمرة والحالة مستقرة ، على وزن الثورة قايمة والكفاح دوار . عندما كنت فى الخامسة والعشرين كنت إذا تعرفت على رجل فى الستين من عمره ، قلت بينى وبين نفسى .. يا خبر أبيض ، لسه عايش لحد دلوقت ؟! وإذا رأيت أحدهم يبكى على ميت رحل فى السبعين عاما قلت .. يعنى بيعيطوا على شبابه. وعندما وصلت إلى الخامسة والثلاثين أصدرت أول جزء من مجموعة « الولد الشقى » وقلت فيه بالحرف الواحد : أتمنى أن أعيش إلى سن السبعين ، فأنا أخاف الموت والنوم فى المقابر المهجورة وأخشى أن أتحول إلى وجبة لكلب صايع أو كلب جائع .

أحلامى فى العمر الطويل لم تتعد السبعين عاما . تصورت لقصر نظرى وعمى بصيرتى أن السبعين عاما هى نهاية الحياة ، لم أتصور أن السنين تنهب العمر كما ينهب القطار المجرى المسافة بين القاهرة وقليوب .. هاهى السبعون تفتح أحضانها للعبد لله ، وبحلول عام ١٩٩٧ أصبح الشيخ محمود السعدنى فى السبعين من عمره ، وبعد أشهر قليلة احتفل بعيد ميلادى السبعين .. آية أخرى تثبت قول الشاعر .. والعمر كالطيف او كالضيف ليس له إقامة ، يا قوة الله ، سبعون عاما طويلة عرفت خلالها من صنف البشر ما يفوق عدد عساكر جيش هتلر ، ولم يبق من المعمورة أرض لم أشاهدها إلا استراليا وأمريكا اللاتينية ، وتذاكر السفر إلى المنطقتين فى جيب العبد لله منذ سنين ، ومن أحلامى أن يمتد بى العمر حتى أشاهد حيوان الكانجرو فى مراعى وغابات استراليا ، وحتى أرقص السامبا والرومبا وأشرب التيكيلا مع أهل الفنون والثورات من المكسيك إلى هندوراس .

تقدم يا روميل

يالها من أحداث رهيبة وعظيمة وخالدة شهدها العبد لله واشترك فيها . أول ثورة فى مصر رأيتها كانت فى العام ١٩٣٥ فى هبة الطلبة ضد الاحتلال البريطانى ، وسقط

ضحيتها عدد من الشهداء أشهرهم عبد الحكيم الجراحى رحمة الله عليه ورضوانه . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وازدحمت مصر بجنود من جميع الملل والالوان ، إخوان سود من جنوب أفريقيا وحتى السنغال وعساكر من أوروبا ومن أمريكا وعمالقة من استراليا ونيوزلندا وجنود من آسيا وبلاد تركب الأفيال ومناظر وأشكال ما أنزل الله بها من سلطان . وأوضاع تصلح مسلسلات تليفزيونية فشر مسلسلة فوزية فراويلا والسحت وعباس بن فرناس ، خادمات فى البيوت تحولن إلى أرتشت .. يعنى أرتست ، وخدامين صاروا عمالا فى الأورنس ، وحرامية تحولوا إلى متعهدين للجيش الإنجليزى وناس يتمتعون بالستر تعروا وتدحرجوا إلى القاع ، ثروات هبطت على البعض بغتة وناس من طبقة المبسوطين رايتهم بعينى راسى يتسولون طعامهم من المارة ويلتقطون أعقاب السجاير من تحت أقدامهم ، ومظاهرات اشتركنا فيها ونحن طلبة فى مدرسة المعهد العلمى الثانوية نهتف .. تقدم يا روميل تقهقر يا جون بول ، ولكن زميلا لنا فى السنة الثالثة الثانوية كان ماركسيا خطب فينا ونهانا عن اتخاذ هذا الموقف الفاشى الرجعى ، أما الموقف الصحيح فى رأيه فهو الوقوف إلى جانب الحلفاء .. مع الحرية والديموقراطية وتقرير المصير .

ويا ليت روميل تقدم وتقهقر جون بول ، لأن مصالحنا كعرب كانت إلى جانب هتلر ومصلحة الصهاينة كانت مع الإنجليز ، تحالفوا مع الإنجليز وانخرطوا في جيشهم ومن خلال الجيش الإنجليزى تأسس الجيش اليهودى « الهاجاناة » وهو الذى تولى بعد ذلك طرد الفلسطينيين واحتلال أرضهم .

كانت الشيوعية حديثة فى مصر .. أقصد التنظيمات إياها ، كانت بقيادة اليهود ، وانخدع بعض المثقفين المصريين وبعض العمال ، فلم يكن الهدف من تأسيس التنظيمات الشيوعية إلا تبرير أطماع اليهود فى فلسطين ، وهذا الكلام ليس من تأليف العبد لله ، ولكنه كلام أحد أشرف العناصر الماركسية من بين المصريين ، وهو المرحوم مصطفى طيبة ، وقد غادر دنيانا فى العام ١٩٩٦ ، وقد سجل هذا الكلام فى سلسلة كتب ، حبذا لو قام الدكتور سمير سرحان بطبعها وعرضها بأسعار فى متناول الجميع .

الشهود العدول

ولم يكن مصطفى طيبة هو الشاهد الوحيد ، ولكنى سمعت الكلام نفسه من مثقف مصرى عظيم ومفكر ماركسى له خصوصية ومن أصحاب الوزن الثقيل وهو

الأستاذ محمد سيد أحمد ، وقال نفس الكلام فى سهرة فى بيت الصديق عمرو عبد السميع فى لندن وضمت معنا أيضا الدكتور إسماعيل رشدى الوزير المفوض والدكتور مصطفى الفقى سفيرنا فى النمسا والوزير المفوض جهاد ماضى نائب مساعد وزير الخارجية ، ما علينا .. ولكن ليته تقدم العم روميل ، ولو فعل لكفانا شر ما حدث لنا فى فلسطين . فالعبد لله من أبناء الجيل الذى سمع أفراده بآذان ونداءات سائقى سيارات الأجرة فى ميدان العتبة .. نفر واحد غزة ، نفر واحد القدس ، نفر واحد بيروت ، نفر واحد حلب . وكان من عادة بعض المصريين قضاء العيد فى يافا أو فى بيروت . وأذكر أننى قمت بتوديع سعيد أبو بكر مرة فى محطة مصر وهو فى طريقه إلى القدس بالقطار ، ومرة أخرى فعلت نفس الشيء مع عبد الرحمن الخميسى وهو فى طريقه إلى تل أبيب حيث كان يعمل فى محطة الشرق الأدنى التى تبث من حيفا . ما علينا .. مرة أخرى فيا ليت عمنا روميل تقدم ، فربما عشنا زمنا رغدا أيام شبابنا .

نهاية الثوار

وبعد الحرب العالمية الثانية جاءت حرب فلسطين ، وكانت الحكومة قد ألغت البدل المادى وفرضت التجنيد

على الجميع . ولكنهم جندونا ثم سرحونا « تحت الطلب » ولكن هذا الطلب لم يحن وقته حتى اليوم ، ثم جاءت حرب التحرير التى أعلنها النحاس باشا ضد قوات الاحتلال البريطانى فى منطقة القناة . وهذه المعركة بالذات هى التى صدمتنى وأنضجتنى وفتحت عينى على أوضاع مصر المقلوبة ، وتناقضاتها الغريبة ، وهى التى فرضت الحل الجذرى بثورة ٢٣ يوليو . فلم يكن من السهل إنقاذ مصر من محنتها مع وجود الملك فاروق الزين أبو وردة على الخدين جاثما على أنفاس المصريين ، وفى الثورة شفنا العجب وعشنا أمجادها ونكساتها ، وشاركنا فى انتصاراتها وعشنا هزائمها ، ولكن بالرغم من اختلاف البعض حولها فقد كانت ضرورية لمصر ، وبدونها كانت مصر ستصبح بالتاكيد غير التى نعرفها الآن ، ونفس الكلام ينطبق على العالم العربى . وخلال ثورة يوليو تعرفت على معظم ملوك وأمراء وزعماء وثوار العالم العربى ، حياة كل منهم تصلح مادة لكتاب كبير . وما أكثر الثوار الذين فشلوا وماتوا قتلى برصاص الثوار زملائهم ودفنوا فى مقابر مجهولة بعيدا عن أرض الوطن ، الثائر محمد خيضر أشرف وأنقى من أفرزتهم ثورة الجزائر قتل ودفن فى مدريد . والثائر الشريف صالح بن يوسف التونسى الذى قتل ودفن فى ألمانيا .

والثائر الشاعر صلاح البيطار قتل ودفن فى باريس . والثائر العظيم المهدى بن بركة الذى قتل ودفن فى قبر مجهول فى فرنسا . والثائر التونسى إبراهيم طوبال الذى مات مخمورا ودفن فى الجزائر . والثائر أكرم الحورانى الذى مات فى المنفى ولا أعرف أين دفن .

أمنية العبد لله

ولو سألتنى الآن ما أحب الألقاب إلى قلبك لأجبتك .. لقب طويل العمر . فما أسعد الإنسان الذى تطول أيامه على الأرض بشرط أن تكون الصحة على ما يرام . والله يرحمه ويحسن إليه الراحل عمنا محمد عبد الوهاب وأسأل الله أن يطيل فى عمر نجيب محفوظ وأنيس منصور وعلى الراعى وألف رحمة على روح عمنا مصطفى أمين وعمنا فتحى غانم وروح عمنا سعد وهبة ويطيل فى عمر عمنا الكبير محمد حسنين هيكل ومحمد عودة وأمين العالم ويوسف جوهر وعبد القادر القط ومحمود عبد المنعم مراد . إلى آخر أعضاء حزب ما بعد السبعين . ولو عشت سأكتب لكم كتابا من عدة أجزاء عن الولد الشقى فى السياسة عن الرجال الذين أحبوا الوطن فأدى بهم حبهم إلى الهلاك ، وعن الذين اشتغلوا بأخطر

مهنة فى العـالم العربى ، وهى مهنة السـياسة والتـشرد والعذاب .

وتسألوننى عن أمنية الـعبد لله الحقيقـية ، أقول لكم .. أن أعيش سـبعين سنة أخـرى .. ومن يدرى ؟ ربما عندما يأتى الوقت قد أطلب السـبعين سنة الثالثـة . ومن عارف يحصل إيه عندما تنتهى الفترة الثالثة .

ادعوا للعبد لله بطول العمر مع الصحة التمام !

حكومة..وعكومة..

القـضـاء هو أعظم تـاج ترتديه الشـعـوب والأمم . والعدل هو الجسر الوحيد المؤدى إلى الاستـقرار والرخاء والتنمـية . ولا يمكن بناء نهضة حقيقية على ظلم . وأكبر دليل على ذلك هو تجربة المانيـا الهتلرية ، فـقد حققـت المانيا فى سنوات قليلة ما عجزت دول كبيرة عن تحقـيقه فى أجيال كثيرة . ولكن كل ما حـوله الألمان من معجزات تحـول إلى أنقاض فى شهور .

ومصر والحمد لله تتمتع بقضاء شامخ وعادل وعظيم . وآخر القـضاة العظام الذين وقفت أمـام منصتهم العـالية للأسف الشديد أنستنى الشـيخوخة اسمه . وكـان رئيسا لإحدى دوائـر الجنايات بالإسكندرية . أصدر حكمـه على العـبد لله بالبـراءة ، بعد سلسـلة من الجلسات العـاصفـة

استغرقت عامين كاملين . وقبل ذلك بعشر سنوات وقفت أمام دائرة جنايات بالقاهرة برئاسة المستشار زكريا حذيفة ، وجاء حكم المحكمة إدانة صريحة لمؤسسة السينما الحكومية التى أقامت الدعوى ضد العبد لله . وكان حكم البراءة للعبد لله إشادة لموقفى الصحفى ضد السادة المتربحين والمرتشين وبتوع التلات ورقات !

حادث بسيط

وقد أتيح للعبد لله فرصة الاحتكاك بالقضاء الإنجليزى أثناء إقامتى فى لندن فى حقبة السبعينات . فى تلك الأيام انخبط العبد لله فى عقله فامتلكت سيارة صغيرة وتوليت قيادتها بنفسى . وكان مع العبد لله أكثر من رخصة قيادة تسمح للعبد لله بالقيادة فى بلاد الإنجليز واحدة من دولة الإمارات وأخرى من الكويت والثالثة دولية . وذات يوم ممطر كثير الضباب صدمت بنت غندورة على خط المشاة ، وهى جناية فى نظر القانون البريطانى . ولكن لأن الله عالم بأحوال الغلابة لم يسفر الحادث إلا عن خدوش بسيطة وأدى التفاهم مع البنت الخوجاية ببعض الهدايا والإكراميات إلى خروج العبد لله من هذا المأزق بخسائر طفيفة . المهم أننى أثناء نظر قضيتى أمام محكمة بريطانية فى وسط العاصمة البريطانية ، استمتعت بمشاهدة

تفاصيل مجموعة من القضايا أغلبها مخالفات مرورية وبعض جرائم السرقات الصغيرة .

حرامى ولكن

القضية التى هزت أعماقى كانت خاصة بفتى أسود فى القفص يرتدى ملابس رخيصة وقذرة ، ولكنه لم يكن خائفا ولا مذعورا . نظر إليه القاضى من خلال نظارته السميكة وقال وكأنه يتحدث مع نفسه .. تانى .. ورد الولد الأسود قائلا .. معذور يا سيدى . وقال القاضى متهكما .. أى عذر ، لقد قبضوا عليك خارج المحل والمسروقات معك رد الولد الأسود ببساطة .. لقد كنت على موعد فى اليوم التالى للذهاب إلى إحدى الشركات لمقابلة أحد المسئولين هناك تمهيدا لإلحاقى بوظيفة عامل أسانسير . قال القاضى .. وما علاقة هذا الأمر بالسرقة ؟ رد الولد الأسود . لقد كان قميصى متسخا وممزقا ، فأردت سرقة قميص نظيف يساعدنى على استلام الوظيفة . هز القاضى رأسه وقال .. ولكنك سرقت قميصين وليس قميصا واحدا . رد الولد الأسود على الفور.. لقد سرقت كيسا واحدا ولكن الكيس كان يحتوى على قميصين . ولم يكن هذا قرارى ولكن نظام الشركة الذى لا دخل لى فيه . ولزم القاضى الصمت ثم قال بعد

فترة قصيرة .. حظك لا بأس به وعذرك مقبول ، وسأحكم عليك بالحبس لمدة شهر مع إيقاف التنفيذ لمدة عشرين شهرا ، ولكنى سأضعك فى السجن لمدة طويلة لو رأيت وجهك هنا خلال العشرين شهرا القادمة ، وسأحكم أيضا بتسليمك الكيس الذى سرقته لكى تستخدمه فى الحصول على عمل تكسب منه عيشك ، ولكن لا تنتظر منى رأفة ولا رحمة إذا وقع بصرى عليك هنا خلال العشرين شهرا القادمة . وكانت مفاجأة شديدة للعبد لله عندما صفق الذين فى القاعة للقاضى الإنجليزى . فقد كنت أتصور أن الإنجليز يتمتعون ببرود يمنعهم من التصفيق فى أى موقف !

هذا هو المهم

ووقفت فى القفص عندما حان الوقت لنظر قضيتى سألنى القاضى .. هل أنت بريطانى ؟ أجبته بالنفى . فقال : هل لديك رخصة قيادة بريطانية ؟ أجبته بالنفى . قال : وكيف تقود سيارة بدون رخصة ؟ قلت : عندى رخصة قيادة بديلة هى رخصة قيادة من دولة الإمارات والقانون يسمح بذلك . وقدمت الرخصة للحاجب الذى سلمها للقاضى ، وطلب القاضى أحد المترجمين وسلمه الرخصة وقال له : هل هى سليمة ؟ نظر المترجم إلى

الرخصة وقال للقاضى : التاريخ قديم . وقال القاضى : التواريخ غير مهمة ، هل هى رخصة حقيقية ؟ صادرة من الشرطة فى دولة الإمارات ؟ أجابه المترجم : نعم يا سيدى . قال القاضى : حسنا .. وبعد أن نظر فى تقرير المستشفى حكم بأربع نقط على رخصة العبد لله وفى بريطانيا قانون يعطى للقاضى الحق فى وضع بعض النقط على رخصة المخالف ، وتسحب الرخصة لمدة عام أو عامين إذا وصل عدد النقط إلى ١٢ نقطة على ما أعتقد !

وهناك فرق

ولكن الذى لفت نظرى فى القضية كلها هو تعليقه على ملاحظة المترجم بأن الرخصة قديمة قائلا التواريخ غير مهمة ، المهم هل الرخصة حقيقية ؟ هل هى صادرة من شرطة دولة الإمارات ؟ وإذا كانت الرخصة حقيقية وغير مزيفة ، فهى دليل على أن صاحبها استعملها عن جدارة . وإذا كان القانون البريطانى عامل رخصة الإمارات بقيادة السيارة فى بريطانيا . فمعناها أن العبد لله من حقه أن يقود سيارته فى شوارع لندن هذا هو المهم ، أما عدا ذلك فهو شكليات لا تستحق الوقوف عندها .

أعتقد أننا فى حاجة إلى إلقاء نظرة على مختلف أوجه حياتنا لإزالة كل الشكليات التى تعوق نمونا وتقف حجر

عشرة فى طريقنا وتفتح المجال أمام السادة المستوظفين لفك عقدهم وفك أزماتهم وحشو بطون البعض منهم بالمال الحرام .

وهذا هو الفرق بين الحكومة والعكومة . الحكومة هى التى تزيح كل العقبات من طريق المواطنين . والعكومة هى التى تسد الطريق وتحكم الحصار وتضيق الخناق على المواطنين . وكم فى شرقنا السعيد من عكومات من الوزن الثقيل !

لعبة غزالى !

وكما فى دنيا الدول ، سلوك البشر لا يختلف عن سلوك الممالك والجمهوريات . هل رأى أحدكم خناقة حامية بين سيدة فى الزمالك وبين جيرانها من الجنس اللطيف ؟ هل شاهدتم معركة يشيب لهولها الغراب بين الهوانم فى شوارع جاردن سيتى ؟ ولكن هذه مألوفة وعادية فى شوارع بولاق الدكرور وعزبة القرود وخوخة السعدان .. الناس الفقراء يتشاجرون لأهون الأسباب ، وغالبا بدون أسباب . الشجار يتحول عندهم إلى نوع من الترفيه ومحاولة من جانبهم لكسر رتابة ورخامة الحياة . وزمان فى الجيزة كانت ست الكل سايحة إذا مر عليها أسبوع بدون خناق ذهبت إلى المستشفى لتتعرف على السبب الذى جعلها تعزف عن ممارسة فنها الذى هو بالنسبة لها

DVD4ARAB

زينة الحياة الدنيا ، ربما قبل المال والبنين ، وربما أفضل من البغال والحمير لتركبوها وزينة فهي أيضا زينة مثل المال والبنين والخناق . وكانت زنوبة ونحن صبية صغار عندما تشعر بالضيق تخلع ملابسها وتدب خناقة مع مواطن غلبان في الشارع . وبعد الخناقة كانت تجلس على الرصيف منشرحة ومنشكحة تشفط من كوب الشاي الذي أرسله لها المعلم أمين صاحب القهوة مكافأة لها على ما أبدته من شجاعة في ميدان القتال !

الإفطار وأسبرين

وكما كان يحدث بين صابحة ونايحة في ميدان الجيزة يحدث هذه الأيام بين أثيوبيا وأريتريا . في ميدان القتال العساكر على الجانبين ملابسهم مهلهلة وهي ليست ملابس بالمعنى المعروف للكلمة ولكنها هلاهيل وهدوم غير مغسولة من بالة وارد بلجيكا ، والأحذية أجارك الله البوز مقطوع والجوانب مخيوطة والرباط أكلته الرطوبة ، ومياه الأمطار والحرب على أشدها ، مع أن العساكر في الغالب لم يتناولوا أي إفطار على الإطلاق ، والمدفع الماكينة مختبيء داخل عشة لا تصلح حتى لسكنى الفراخ ، هي غالبا ما تستعمل مأوى للثعابين والحيات ، حكمة الله أن الناس مش لاقية تهرش في أريتريا

وأثيوبيا ، ولكن الحكومتين لديهما طائرات هليكوبتر وطائرات مجنحة حديثة الطراز . نفس الشيء يحدث في سيرلانكا بين الحكومة ونمور التاميل ، والقتال داير في الأحراش وبأحدث الأسلحة ، والناس تفطر إسبرين وتتعشى بمحلول الجفاف . ونفس المحنة شغالة على قدم وساق في أنجولا وفي زائير وفي سيراليون بين الجنرال كباح والجنرال سنكوح . ولا أعرف كيف حصل الأخ سنكوح على رتبة الجنرال . ويبدو أنه حصل عليها بطريقة زميلي في سجن القناطر الكرداسي الذي لقبوه بسيادة اللواء . حتى بالنسبة لمأمور السجن نظمي الجاولي نفسه ، بعد أن أقسم الكرداسي أنه لن يرد على أحد إلا إذا ناداه باسمه مسبوقا بسيادة اللواء !

العراك للترفيه

يبدو أن القتال هو وسيلة الغلابة لكسر روتين الحياة اللزج البليد الثقيل ، ويبدو أنها نظرية حقيقية ، لأننا لم نشاهد في حياتنا معارك من هذا النوع بين أمريكا وكندا أو بين بريطانيا ودول اسكندنافيا أو بين فرنسا وسويسرا أو بين ألمانيا وهولندا . قد يقول أخونا أبو العريف : لقد وقعت معارك بين هؤلاء في الحرب العالمية الثانية وقبل ذلك في الحرب العالمية الأولى .

وأقول للسيد أبو العريف : نعم هذا صحيح ، الحرب العالمية الثانية كانت نتيجة جنون انتاب الكرة الأرضية ، ولكن العبد لله يتكلم عن ظروف أخرى ليست فيها حرب أو ضرب وليس هناك سبب لذلك كهذه الحرب فى القرن الأفريقى . فلماذا ؟ وما هى الأسباب ؟ لقد كانت أثيوبيا وأريتريا منذ عدة سنوات بلدا واحدا وشعبا واحدا ، والرئيس أفورقى الأريترى والرئيس زيناوى الأثيوبى من قبيلة نيجراى وهما أولاد خالة ، يعنى زيتنا فى دقيقنا والبيت جنب الغيط . والعنصران المتحاربان بسيريلانكا يؤمنون بدين واحد ويعبدان إلها واحدا . وهى مواصفات تنطبق أيضا على القبائل المتحاربة فى أنجولا وفى سيراليون وفى زائير .

هذا هو السؤال

ولذلك .. فالسؤال .. ما سبب الحرب على هذه الجبهات ؟ ويبدو أنها لعبة لقطع أوقات الفراغ . أذكر ونحن صبية وقفنا فى الشارع فى شبه دائرة واقترح أحدنا أن نذهب إلى السينما ولكن الفلوس التى كانت فى جيوبنا لم تكن كافية لدخول السينما ، فاقترح أحدنا الجلوس على القهوة وشرب الشاى ولعب الطاولة ، ولكن الفلوس لم تكن كافية . فاقترح آخر الذهاب إلى محل عم

صبحى الحلوانى لنأكل الكنافة والبغاشة ، ولكن الفلوس لم تكن تكفى لأى شىء . وفجأة هتف أحدنا وهو المرحوم جمال غزالى واقترح اقتراحا وجيها للغاية سرعان ما نفذناه على الفور . هل تعرفون ماذا اقترح غزالى ؟ قال بلهجة عالم خبير بوسائل حل المشاكل : يللا نتخانق مع العساكر الهنادوة دول ، وكان بعض العساكر الهنادوة يمرون فى ميدان الجيزة فى نفس الوقت ، ونشبت المعركة على الفور ولم يتدخل أحد لوقف القتال ، واستمرت المعركة وقتا طويلا . وهكذا أمضينا سهرة طيبة بدون تكاليف كأرخص ليالى بتاعة المرحوم يوسف إدريس .

لعبة غزالى !

ولكن .. شوف خيبة الأمل لما تركب جمل ، خناقة حامية مثل حرب البسوس بين شوية طلبة فقراء وليس معهم فلوس وبين شوية عساكر هنادوة أغلب من الغلب . ترى لو كانوا عساكر إنجليز أو أمريكان ، هل كانوا استجابوا لقتالنا ؟ العبد لله يشك فى ذلك ، فقد كان مع هذا الصنف من العساكر فلوس وحلويات وزجاجات خمور وكانوا فى طريقهم إلى ملاهى الرقص فى شارع الهرم . ولكن مثل هذه الخناقات لا تدور إلا بين شلة

غزالى والعساكر الهنود أو بين جنرال كباح وجنرال سنكوح أو بين اثيوبيا واريتريا ، وهى يمكن أن تنشب فى أى مكان حيث لا فلوس ولا امكانيات ولا شىء يسر القلب على الإطلاق ، بحيث تصبح الحرب أو الخناقة عملية ترفيهية ومحاولة لكسر رتابة الحياة وروتينها اللزج الثقيل . إنها لعبة الغزالى انتشرت الآن فى كل مكان . وعندما تصبح الحرب هى المتعة الوحيدة فى حياة بعض الناس ، فهو الدليل الوحيد على وجود حاجة غلط فى حياة هؤلاء الناس ، وهى حالة سائدة الآن فى مواقع عديدة على خريطة الكرة الأرضية . فحيث الفقر الشديد والغم الأزلى تنشب هذه الحروب التى لا تحمل أى معنى وليس لها أى هدف على الإطلاق .

غارات الفرفشة

اذكر اننى عندما كنت أقضى فترة العقوبة فى سجن القناطر كان الحاج صبحى الشرقاوى هو زعيم العنبر (ا) وكان بين الحين والآخر يقوم بغارات على العنبر(ب) وأحيانا كان يكتفى بشن غارات على دور(٣) أو دور (٤) ، وعبثا حاولت أن أفهم سر هذه الغارات دون جدوى ، وذات يوم وأثناء شروع الحاج صبحى فى الهجوم على عنبر (ب) سألت الحاج صبحى عن سر هذا

الهجوم وعن الذنب الذى ارتكبه نزلاء عنبر (ب) ويستحقون عليه العقاب .

فأجابنى ببساطة : هيعملوا إيه ما عملوش حاجة هما لاقيين يهرشوا . ولما قلت للحاج صبحى .. طيب وهتضربوهم ليه مش كفاية اللى همه فيه ؟ رمقنى الحاج صبحى بنظرة نارية وقال : وإنت رأيك إيه .. نقعد جنب الحيط زى الولايا . نقعد نعد الثوانى والدقائق طول النهار ؟ أهى حاجة للفرفشة وتنسينا اللى احنا فيه .

وعندما تتحول الحرب عند البعض إلى وسيلة للفرفشة والمزاج ، يصبح بطن الأرض خيرا لهم من ظهرها !

DVD4ARAB

وتكلم السيف ..!

وعلى طريقة الأهلى والزمالك انعقد فى القاهرة مؤخرا مؤتمران ، مؤتمر أطلقوا عليه اسم مؤتمر التطبيع حضرته بعض الوفود من بينها وفد إسرائيلى رفيع المستوى . ومؤتمر آخر أطلق عليه مؤتمر عدم التطبيع . ولا أعرف معنى عدم التطبيع إلا إذا كان شىء كده مثل عدم الموافقة . ولكن لأن عدم التطبيع حلو ، فقد انعقد من أجله مؤتمران ، مؤتمر دعت إليه إحدى الدور الصحفية والمؤتمر الثانى دعا إليه ضياء الدين داود القطب الناصرى الكبير ورئيس الحزب الناصرى العربى الديموقراطى ورئيس مجلس إدارة جريدة العربى . وهذا المؤتمر هو الذى دعيت لحضوره ولكنى رفضت حضوره ، ولم أعتذر عن ذلك ، لإيمانى بأن مؤتمرا لعدم التطبيع أو لمناهضة التطبيع ، أو لمقاومة

التطبيع ، هو أمر يدخل فى باب الهزل . لأن الواقع يقول كيف نمنع الناس من التطبيع ؟ إذا كانوا هم أنفسهم قد قرروا ذلك ، وكيف نجبرهم على التطبيع ؟ إذا كانوا هم أنفسهم قرروا عدم ارتكاب هذا الذنب العظيم . ومؤتمر بهذا الاسم ومن أجل هذه المهمة هو مجرد مناسبة للكلام والهلضمة واستعراض عضلات الحنجرة . وخد عندك كلام من نوع الحنجورى المتشابك مع الشنجورى المتشنكح مع التيار المتواطىء المتنازل الزاحف على بطنه .. إلى آخر هذه العبارات الهجايص التى شربنا منها حتى ارتوينا وأكلنا منها حتى شبعنا ، وكانت النتيجة أننا صرنا كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى !

إنجازسكيتى

وخد عندك إسرائيل مثلا ، هبرت أرض فلسطين والتهمت هضبة الجولان وأكلت حتة كبيرة من لبنان دون أن توجه دعوة لأى أحد لحضور مؤتمر الاحتلال أو مؤتمر عدم الاحتلال ، إسرائيل تنجز فى هدوء وفى صمت وسكيتى .. على رأى فؤاد المهندس . وانظر إلى إسرائيل الآن ستجد زعماءهم هم جنرالاتهم ، رئيس الوزراء هو باراك رئيس أركان حرب جيش الدفاع . وزعيم المعارضة هو شارون قائد الجيش السمين فى حجم الفتوة جعلص

DVD4ARAB

يرحمه الله . أما نحن فزعماؤنا هم خطباؤنا . كان سعد زغلول خطيبا لا يشق له غبار ، وكان مصطفى كامل يغنى وهو يخطب وعرابى لم يكن قائد الثورة العرابية ولكن زعيمها الحقيقى . كان عبد الله النديم الكاتب الشاعر الساخر الثائر الشاخر حتى الآن . استمع إلى الدكتور فتحى سرور سيذكرك بالزعيم سعد زغلول ، وخذ بالك من عمك كمال الشاذلى سيذكرك بعمك عبد الله النديم ، كلام حلو وصوت قوى وتشويح بالذراع وضرب على المنضدة بقبضة اليد .

بدون وينجز

واقرأ تاريخ عمك محمد على ، ستكتشف أنه أنجز بدون وينجز . نظم الرى وأسس الجيش وأنشأ الطبقة العاملة المصرية . نعم محمد على هو الذى أنشأ الطبقة العاملة كيف ؟ هل كان يحب العمال ويعطف عليهم ؟ الجواب لا بالطبع . ولكنه كان يحب مصر ويعشقها . كما كان رجل دولة من طراز عظيم . عندما شرع محمد على فى إنشاء جيش ودعا شباب مصر إلى الانخراط فى صفوفه ، اللائقون طبيا ينضمون لصفوف الجيش والأسطول وغير اللائقين طبيا يجرى تجنيدهم كعمال

يصنعون بارودا وبنادق للجيش ويصنعون ملابس وأحذية للجنود . فإذا انتهت مدة التجنيد الإجبارى أبقاهم محمد على فى الخدمة كأسطوات ينظمون العمل ويعلمون المستجدين من المجندين . وهكذا أشرق فجر الحركة العمالية فى مصر والفضل لمحمد على الكبير . وتستطيع أن تقرأ القصة كاملة فى كتاب الخبير العمالى الأستاذ أمين عز الدين .

جهاد على طول

لم يحضر محمد على مؤتمرا ولم يخطب باللاوندى كمجاهدى هذه الأيام ولم يكن قد ظهر فى عصره هذا الاختراع العجيب .. اختراع الحنجورى المتعانق مع الفجر البازغ عند حلول السرنديب . ولعل هذا هو السبب الذى جعلنى أرفض حضور مؤتمر عدم التطبيع الذى دعا إليه المجاهد ضياء الدين داود ، وهو مجاهد باعتباره يجاهد صباح مساء وعمال على بطال ، ولثقتى بأن مؤتمر سيادته لن يمنع أحدا من التطبيع ولن يغرى أحدا بالتطبيع ، ولكنه مؤتمر للتصوير وللتجعير .. نسبة للجاعورة . وفلسطين نفسها ضاعت بسبب مؤتمرات من هذا النوع . وفى العام ١٩٤٨ حضرت مؤتمرا من هذا

النوع فى فندق شبرد خطب فيه أمين الجامعة العربية وقتئذ وقال وصوته يتدفق حماسا سكت القلم فتكلم أيها السيف .. وسكت القلم بالفعل وتكلم السيف ، سيف الإسلام عبد الله ، وكان أميرا يمنيا يرحمه الله .

موحدة وأبدية

انتهى الخواجا باراك من تأليف وزارته ، وهى وزارة حلوة ودمها خفيف وبنت ناس ، كما أنها جمعت الشامى على المغربى والمتطرف على المتساهل والنتن ياهو عل النتن يا خلق .. وباراك نفسه لم يعد بشىء ولم يفصح عن نواياه الشىء الوحيد الذى تعهد به هو تنفيذ اتفاق واى ريفر وهو الاتفاق الذى رفض نتنياهو تنفيذه ، على أساس أن واى ريفر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه يا أولى الألباب . ولكنه فى الوقت نفسه أكد أن القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل . أما المستوطنات فلم يتعرض لها من قريب أو من بعيد . والعبد لله يعتقد أن القدس لا يمكن تحريرها إلا بقوة السلاح وسيحدث هذا بإذن واحد أحد ذات يوم فى القرن الواحد والعشرين بإذن الله . عندما يعود العرب عربا وتصبح السكة العربية سالكة والحدود العربية مفتوحة للعرب وليس كما هو الحال الآن مسدودة أمام العرب مفتوحة للغير !

ع الهيجا

واغرب شىء بالنسبة لعرب اليوم أن جميع الإذاعات العربية تصرخ صباح مساء بأناشيد الوحدة اللى ما يغلبها غلاب وحنا للسيف حنا للضيف وع الهيجا هيا يا رجال .. والعبد لله لا يعرف أى هيجا يقصدون . لأن الهيجا ممكن تكون الحرب وممكن أيضا تكون أى حاجة ثانية . وأوروبا التى تتعامل بالف صنف من العملة وتتكلم بمائة لسان ونصفها يؤمن بالله والنصف الآخر يؤمن بالشلن وبالفرنك وبالمارك ويجمعهم فى النهاية إله واحد هو الدولار . أوروبا هذه اتحدت أولا عن طريق العملة والبضائع والتجارة والمصالح ، ولم نسمع فى أوروبا كلها أغنية واحدة عن الوحدة أو حتى عن الاتحاد . ولكن هنا فى بلادنا استمعنا إلى مائة ألف أغنية ، وأنا واقف فوق الأهرام وقدامى بساتين الشام ، والوحدة هى طريقى والعربى هو رفيقى أنا قادم من بليده وهدفى هو بريدة ، وبليدة فى الجزائر وبريدة فى السعودية ، وعلى طول الطريق ما أكثر المهالك والمزالق والفخاخ !

الفضل لبسيونى

ولكن القدس ستعود يوما ما بإذن الله ليس بفضل سماحة باراك ولا جهود أنصار السلام الآن ولا ببركة

عمنا السفير صلاح بسيوني ، ولكنها ستعود بفضل ذو الفقار سيف سيدنا على بن أبى طالب ، وبفضل البتار سيف عمنا سعد بن أبى وقاص . ولكن البداية هى أن نشعر بعروبتنا ونشعر بأن حياتنا فى وحدتنا وأنه من الضرورى أن نتعلق ببعض لا أن نتعلق فرادى ، وعندما تتحد هويتنا وتتحد إرادتنا ، عندما يقوم العربى من باب المندب فى اليمن إلى باب الواد فى المغرب دون أن يستوقفه أحد أو يفتشه أحد أو تمتد يد أحد لتلزقه على قفاه ، عندئذ ستعود القدس وتعود عكا وستعود أم الرشراش التى حكم الزمن عليها فأصبحت إيلات !

ضغط الدم

صحيح قليل البخت يلقى العظم فى الكرشة . وهذا المثل ينطبق على العبد لله لسوء الحظ . فى البداية اعترف لكم بأننى مصاب بضغط الدم العالى . وذات يوم منذ سنوات دخلت عيادة الدكتور فايز بطرس بهارلى ستريت فى لندن ، أشكو له من عدم قدرتى على النوم وأنى أنام نوما متقطعا وعلى فترات كل فترة لا تزيد على ساعتين . ونظر الدكتور فايز بطرس طويلا إلى وجهى وقال للعبد لله استلق على هذا السرير كى أقيس لك ضغطك . وقلت للطبيب : اطمئن فأنا لا أعانى من أى ضغط دم لا عالى ولا واطى، وضغط دمى منذ العشرينات من العمر وحتى الستينات هو ١٢٠ على ٨٠ يعنى ضغط شاب فى مقتبل العمر . ورد الدكتور على العبد لله وهو منهمك فى إعداد

DVD4ARAB

جهاز الضغط .. ولكنك الآن فى السبعين وهى مرحلة تختلف عما مضى من العمر .. واستسلمت للدكتور فايز وأعطيته ذراعى وقام بقياس الضغط ، ونظرت إليه ولكنه تجاهل نظراتى وانهمك فى قياس الضغط مرة ثانية ومرة ثالثة ومرة رابعة ، ثم أعاد الجهاز إلى جرابه وسألنى هل تعانى من صداع شديد هذه الأيام ؟ نفيت له أننى أعانى من أى صداع ثم سألنى هل هناك (وش) فى أذنيك . قلت : لا يوجد أى (وش) على الإطلاق . قال : ضغطك ٢٢٠ على ١٦٠ وهو أمر مخيف وينذر بالخطر . قلت : وما العمل ؟ قال : لن نفعل أى شىء الآن ، سأتركك أسبوعا لتعود إلى فى نفس الموعد الأسبوع القادم ، فلعل هذا الارتفاع عصبى ومفاجىء وسيزول بعد وقت . وقلت له : ولكنك قلت إننى فى مرحلة الخطر . قال : هذا صحيح ولذلك أنصحك بالراحة هذا الأسبوع وبعدم أكل الطرشى والابتعاد عن الملح وعدم الدخول فى مشاحنات من أى نوع ، وأنصحك بضبط النفس لا تغضب ولا تثر لأى سبب من الأسباب .

هايص ولا يص

ومر الأسبوع سريعا وعدت من جديد إلى الدكتور فايز بطرس وقرأت على وجهه الرقم الذى سجله الجهاز أقصد

جهاز الضغط . قلت للدكتور : خير ؟ قال : سأعطيك دواء الضغط الآن وعليك أن تواظب عليه وأى إهمال فى تناوله سيؤدى إلى عواقب وخيمة ، وكتب لى ثلاثة أنواع من الدواء واحد فى الصباح ٥٠ ملجم وواحد فى المساء ١٠ ملجم وواحد فى الظهيرة يتكفل بطرد الماء من الجسم . ومضى أسبوع آخر وذهبت للدكتور وبشرنى بأن النتيجة طيبة وأن الدواء أعاد الضغط إلى منسوبه الطبيعى وأوصانى بشراء جهاز لقياس الضغط لكى أقوم بالقياس فى المنزل . وعشت مريضا بالضغط ، أتلاءم معه أحيانا وأتلاءم عليه فى بعض الأحيان . ولكن الضغط كان بين الحين والآخر يتغلب على الدواء ، ويفلت من جميع التحصينات التى أقمتها حوله ويرتفع فجأة ليصل إلى مرحلة الخطر . ودربت نفسى على ريجيم لترويض الضغط . ولكنى لاحظت أن الضغط يرتفع فجأة وبشكل جنونى بالرغم من الدواء والريجيم ومرة بعد مرة لاحظت أن الضغط يصيبه الجنون كلما قرأت أخبار النصابين فى الجرائد . نصابين من الوزن الثقيل . نصاب يلهف مئات الملايين من البنوك ثم يفر هاربا إلى الخارج . ونصاب يلهف من المنبع كما تفعل الضرائب ، أى يلهف من الناس مباشرة مثل زعماء شركات توظيف الأموال ، ثم فص ملح وداب . وبعضهم وبعضهن يلهف المعلوم ويضعه فى

صرة ويافكيك على الخارج . بعضهم يعيش فى لندن فى ثياب بزنس مان ، وبعضهم يعيش فى اليونان ، وبعضهم يعيش فى باريس ، آخر حفلات وآخر سهرات بينما الشعب صاحب المال يعانى ويتعذب وكأن ما يحدث أمامنا فصل من مسرحية .. أخويا هايص وأنا لايص للمؤلف عبد الرحمن شوقى يرحمه الله !

طعمية وكافيار

ولا أخفى عليكم أن العبد لله متغاظ ومفروس من هذا الوضع الظالم الذى يسمح لهابر الأموال بالإقامة فى شقة فاخرة فى حى « بيكر ستريت » فى لندن وعلى الباب تنتظره السيارة الفاخرة مع السائق والعشاء كافيار مع الأصدقاء فى أفخم مطاعم (الماى فير) والصورة الثانية على رصيف بالجيزة المعلم قطب جالس على شاطىء النهر يحتضن رغيفا به عدة أقراص طعمية وفكره شارد فى تحويشة العمر التى نشلها منه رجل الأعمال الهارب فى لندن . مأساة نتيجتها ضغط الدم العالى الذى يهدد بفرقعة فى المخ أو بفرقعة فى القلب !

فرحة ما تمت

لعل ذلك هو الذى جعلنى أصرخ من شدة الفرح عندما قرأت خبرا فى الصحف عن تبرع أحد رجال الأعمال

المصريين بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لجامعة المنصورة لبناء ثلاثة مستشفيات لعلاج المواطنين وتدريب وتخريج الأطباء . يا إلهى .. الدنيا لا تزال بخير والناس لا تزال بخير ومصر لا تزال بخير . شعرت بعد قراءة الخبر فى الجريدة ، ولم تكن جريدة واحدة التى نشرت الخبر ، ولكن ثلاث جرائد كبرى .. الأهرام والأخبار والوفد . وقلت لنفسى : هذا الخبر صحيح بدون شك « ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وشعرت أن الضغط عاد إلى حاله الطبيعى ١٢٠ على ٨٠ ، وفكرت أن أنهض وأرقص وأفتح النافذة وأغنى ، ولكنى تراجعت عن تنفيذ هذه الفكرة خوفا من الجيران . وقلت لابد من تحية هذا الرجل العظيم وإلقاء الضوء على موقفه الوطنى العظيم ، وأمسكت بالقلم وكتبت مقالا عن الرجل الكريم الدكتور سمير شحاته هندى أو هنرى .. الله وحده يعلم الحقيقة وعبرت فى السطور التى كتبتها عن مدى الاحترام الذى أشعر به نحو الرجل ، ومدى حاجتنا نحن المصريين لنماذج من هذا النوع العظيم من المصريين المغتربين . ولكن فرحة ما تمت خدها الغراب وطار . بعد ظهور أخبار اليوم بساعات انهالت التليفونات على العبد لله كلها تلومنى وتشد أذنى على رأى عم كامل الشناوى لأننى تسرعت وأن المتبرع إياه لم يتبرع بشىء حتى الآن ولن

يتبرع بشىء فى المستقبل . والبعض الآخر قال إن الثرى الأمثل الذى كتبت عنه ليس ثريا ولا أمثل ولم يسافر إلى أمريكا إلا منذ عام ونصف قلت فى نفسى لعل أصحاب هذه التليفونات فى خصام مع الرجل أو فى عداء معه ، حتى قرأت فى الزميلة روز اليوسف موضوعا بقلم الأستاذة كريمة سويدان يحمل نفس المعانى التى سمعتها فى المكالمات التليفونية . وقلت فى نفسى كما قال أبو العلاء المعرى فى نفسه .. ياليت شعرى ما الصحيح؟ وقلت لو صحت هذه المعلومات وأن الشخص نفسه متبرع ما تبرعش بحاجة على وزن شاهد ماشفش حاجة . ولكن من ألوم ؟ واحد غاوى منجهة وفشخرة فاعلن عن تبرعه بـ ١٠٠ مليون دولار ، فأعلنت الجامعة على الفور قبولها التبرع ، ونشرت الصحف الخبر على الفور ، وكتبت أنا مقال التمجيد على الفور . فمن الذى ألوم ؟ وما العمل ؟ ويبدو أن العمل الوحيد هو عودة العبد لله إلى عيادة الدكتور فايز بطرس فى لندن !

هذا هو السؤال

والسؤال الذى ينتظر جوابا هو لماذا انتشرت عمليات النصب فى مصر هذه الأيام ؟ وهل مصر وحدها هى التى تشهد حوادث نصب فريدة وغريبة من نوعها ؟ إن مصر

ليست وحدها التى تشهد هذا الطوفان من حركات النصب ، فالنصب على ودنه فى كل مكان . ولكن النصب فى بعض الأماكن يعامل بشدة ويجرى قمعه بيد من حديد ، ولذلك يفكر النصاب ألف مرة قبل أن يقوم بنصبة جديدة . لكن تمسكنا بسيادة القانون يشجع النصاب عندنا على القيام بالنصب بقلب من حديد ، وعلى أساس أن النصبة إذا طابت فيادى النعيم ، وإذا خابت فعلقة تفوت ولا حد يموت . هل تذكرون حادثة المواطن الذى كتب شيكا للحكومة بمبلغ مليار جنيه، وهو مبلغ يغطى ديون الريان ، ثم اكتشفت الحكومة أن الرجل على باب الله وأنه لا يملك أى رصيد فى البنك . ولكن ما الذى حدث للمواطن بعد ذلك ؟ قضى فى الحبس عدة أشهر قليلة ثم خرج مشهورا مسرورا ولا نجم السينما محمود عبد العزيز !

الحديد والملوخية

وطبعا كلكم تتذكرون قصة رجل الأعمال الدولى رئيس مجلس إدارة حديد أسوان وشريكه العضو المنتدب . ناس على باب الله أحوالهم المالية الخالق الناطق طبق الأصل من أحوال العبد لله . لا هم من رجال الأعمال ولا هم من رجال البنوك ، ومع ذلك لم يترددوا فى إنشاء

المشروع وكانوا يخططون لاقتراض ٨٠٠ مليون جنيه من بنك مصرى . تصوروا ؟! مع أن الديون لو كانت من فئة المائة جنيه فقط لاغير فهى هم بالليل وذل بالنهار . ولكن هذا النوع من الناس لا خوف ولا خشا ، ولكنهم من فصيلة المنشار .. طالع واكل نازل واكل ، وأضافوا إلى المعادلة إضافة جديدة .. واقف .. واكل .. فالمهم هو الأكل واللهط والهبر والقضم . أما الحساب فهو هين ومحتمل وهو يسير . عدة أشهر فى السجن ، ثم يخرج إلى الحياة ليختار مكانا آخر لينشىء فيه مصنعا آخر .. ربما مصنع ألومنيوم أو مصنع ورق أو مصنع ملوخية . ومرة تصيب ومرة تخيب . والقانون مثل مجلس الأمن لا يحفظ حقوق السذج ولا يحمى المغفلين !

الطفل الثائر

صحيح يثاب المرء رغم أنفه . فالعبد لله ومنذ فترة طويلة وأنا أشكو لله ضعفى وجهلى وهوانى على الناس ، لأننى لا أفهم شيئا من النظام العالمى الجديد . تصورت أن مأساة العراق هى النموذج الأمثل على النظام العالمى الجديد ، ثم قيل للعبد لله أنت مخطىء فليس هذا هو النظام العالمى الجديد ، هذا وجه من وجوهه وهناك أوجه أخرى كثيرة ومتعددة . وعندما شاهدت مأساة يوغوسلافيا سابقا وصربيا حاليا هتفت بينى وبين نفسى .. هذا هو إذن النظام العالمى الجديد ، ولكن قيل لى أنت واهم فليس هذا هو النظام العالمى الجديد سألتهم .. ما هو النظام العالمى الجديد إذن ؟ وما هو الإنجاز الذى يدل عليه ويشير إليه ؟ قالوا ولماذا العجلة إن العجلة من الشيطان ، إصبر وصابر

وارابط وانتظر وسيأتيك الدليل وأنت فى مكانك ، وعلى رأى المثل .. يا خبر بفلوس بكره يبقى ببلاش !

الطفل الكوبى

والحمد لله والفضل لله أن انتظارنا لم يطل ، فقد حدث فجأة وعلى غير انتظار ، هبط علينا الدليل من حيث لا نحتسب ، الطفل الكوبى الذى أخذته أمه مع زوجها الثانى وانطلقت معه إلى رحلة هروب بالبحر من كوبا إلى الولايات المتحدة . ولكن لأن ليس ما يرجوه المرء يدركه ، فلم يكتب للقارب الوصول إلى الشاطىء الأمريكى . انقلب القارب وغرقت الأم وزوجها معها وكتب للطفل الكوبى النجاة ، تعلق بالقارب وعثرت عليه داورية أمريكية من خفر السواحل وأخذته معها إلى الشاطىء الأمريكى . قصة عادية ويحدث مثلها كثيرا . ومأساة طفل كوبى فقد أمه غرقا ووالده حى يرزق على الشاطىء الآخر فى كوبا، المفروض أن يعود الطفل إلى أبيه وتنتهى المشكلة . ولكن هذا ليس رأى النظام العالمى الجديد ، لأن النظام العالمى الجديد حمش ولا يسمح لطفل صغير بالعيش تحت سقف نظام شيوعى لا يعرف الرحمة ولا يطبق الديموقراطية ولا يعترف بمزايا النظام الرأسمالى .. وبالفعل تلكأت السلطات الأمريكية فى اتخاذ القرار المناسب بشأن مصير

الطفل الكوبى ، وتحركت منظمات حقوق الإنسان واحتجت ، لأن النظام العالمى الجديد ليس حمشا فقط ، ولكنه حمش وخجول فقد أحال قضية الولد الكوبى إلى المحكمة ، وسرعان ما أصدرت حكمها برد الطفل إلى والده الذى يعيش فى كوبا .. وصفق العالم للمحكمة الأمريكية التى حكمت بالعدل وتوقع العالم أن تنتهى مأساة الطفل خلال أيام قليلة ، فالمحكمة حكمت والأب أحق بحضانة ابنه . ولكن فى النظام العالمى الجديد المحاكم ليست هى صاحبة القرار ، هناك الكونجرس ولجانه وأجهزة الإعلام وسطوتها ومنظمات المافيا ورجال العصابات !

وجاء الكونجرس

وبالفعل تحرك رجال الكونجرس واستصدروا قرارا من الكونجرس بضرورة مثول الطفل أمام إحدى لجانه لاستجوابه بشأن مصيره . طفل فى العاشرة من عمره يستفتيه الكونجرس بشأن مصيره ! وماذا يدرى الطفل من أمر نفسه ؟ ولكن مثل هذا اكلام هو كلام رجعى لا يليق استخدامه فى النظام العالمى الجديد ، لأن النظام العالمى الجديد هو نظام تقدمى يعطى الحرية لكل الناس حتى الطفل الوليد . وإذا كان الناس بتوع النظام العالمى

القديم يتصورون أن الأطفال لا رأى لهم ولا شأن لهم بما يجرى فى العالم ، فهو رأى غير صحى وغير صحيح . فأطفال النظام العالمى الجديد مثل الديك الفصيح فى البيضة يصيح . أطفال اليوم ليسوا مثل أطفال الأمس ، أطفال النظام العالمى الجديد يفتحون عيونهم على عالم جديد تحول إلى قرية ، وهم منذ أول يوم لخروجهم من بطون أمهاتهم يستخدمون الانترنت ويشاهدون القنوات الفضائية وبعضهم يشترك فى مناقشات قناة الجزيرة وهم فى اللفة . والنظرة الدونية إلى أطفال النظام العالمى الجديد لم تعد تليق ، ولكنها محاولة من عجائز النظام العالمى القديم لإبعاد أطفال النظام العالمى الجديد من احتلال الأماكن اللائقة بهم فى صدارة النظام العالمى الجديد !

واحد زائد واحد

وهؤلاء الذين يستنكرون أخذ رأى طفل بشأن مصيره هم فى واقع الأمر لا يؤمنون بالديموقراطية وهم بالتأكيد من أنصار النظام الشمولى ، وهو النظام الذى اقتلعه النظام العالمى الجديد من أساسه . طيب ... إفرض إنكم استجوبتم الطفل الكوبى وأنه اختار الحياة مع والده ، فهل سيوافق النظام العالمى الجديد على إعادته إلى أبيه ؟

المسألة فيها نظر . وفى النظام العالمى الجديد واحد زائد واحد لا تساوى اثنين . ولكنها تساوى خمسة وأحيانا تساوى سبعة . ونقطة البدء فى النظام العالمى الجديد أنه لا يسمح للطفل الكوبى بالعيش تحت سقف نظام شيوعى يؤمن بالحزب الواحد ولا يعترف بالخصخصة وآليات السوق . فى هذه الحالة سيكون على النظام العالمى الجديد أن يوفق بين مبادئه ورغبة الطفل .. وإذا كان النظام العالمى الجديد لا يفرط فى المبادىء فهو أيضا لا يمكن له أن يتجاهل رغبة الطفل فى البقاء إلى جوار أبيه !

هل فهمتم

ولكن كيف سيخرج النظام العالمى الجديد من هذه الورطة ؟ هى فى الحقيقة لا ورطة ولا أى حاجة ، الأمر بسيط للغاية وسيكون من حق الرئيس الأمريكى أن يتدخل لحل المشكلة فالطفل الكوبى يرغب فى العيش إلى جوار أبيه ، والنظام العالمى الجديد لا يسمح بتربية الطفل تحت سقف نظام شيوعى لا يؤمن بالله ولا يعترف بالديموقراطية ولا يعمل بالرأسمالية ولا يطبق آليات السوق . إذن الحل المثالى فى ظل النظام العالمى الجديد أن يأمر الرئيس الأمريكى بمنح تأشيرة دخول لأمريكا لوالد الطفل . وهذه التأشيرة كفيلة بحل المعادلة المستحيلة

ويعيش الطفل فى رعاية أبيه وعلى الأرض الأمريكية ، أرض الديموقراطية والرأسمالية والنظام العالمى الجديد . ولكن لو فرضنا أن الأب رفض الذهاب إلى الولايات المتحدة ، لو حدث هذا سيكون الأب مجنونا أو فى طريقه إلى الجنون ، ويكون من حق النظام العالمى الجديد الاحتفاظ بالطفل الكوبى على الأرض الأمريكية . لان النظام العالمى الجديد أقدر على معرفة مصلحة كل مواطن ، وأكفأ على رسم الطريق الذى يضمن لكل مواطن المستقبل السعيد ! هل عرفتم الآن ما هو النظام العالمى الجديد ؟

ولا أنا ؟!

سترك يا رب

زمان كنت حريصا على السهر حتى الصباح كل ليلة قدر وكان سبب حرصى هو أن أكون متيقظا حتى تظهر طاقة القدر فأتقدم لها بكشف طلباتى من متاع الدنيا . كشف يبدأ بالفلوس وينتهى بكل ما يتمنى المرء امتلاكه فى هذه الحياة الدنيا . ثم مضى قطار العمر يا ولدى ووجدت نفسى فى ليلة القدر الأخيرة أتمتم بكلمة واحدة فقط هى كل طلباتى من ليلة القدر . كلمة واحدة هى الستر ! سمعنى أحد الأصدقاء فسألنى مندهشا .. هل

هذه هى كل طلباتك من السماء ؟ فأجبته .. وهل تظن أن هذا قليل ؟ العبد لله وقد بلغ كل هذا العمر لا يطلب من الله إلا الستر ، وهو أمر ليس هينا ، ولكنه أمر لو تعلمون عظيم . هل تذكرون ما حدث لشاه إيران ؟ عندما تنكر له أقرب الناس إليه ، عندما صارت أمنياته أن يجد مكانا لنفسه يأوى إليه . لابد أن الشاه فى آخر أيام حياته سأل الله أن يمده بالقوة والسلطة والنفوذ والمال ، ولكنه فات عليه أن يطلب الستر .. والجنرال موبوتو سيسى سيكو حدث له نفس الشىء ، سأل السماء أن تضاعف رصيده فى البنوك وأن تمده بأغلى الكنوز التى تضمها المناجم فى باطن الأرض .. وكانت النتيجة أنه مات وهو من أغنى أغنياء الأرض ولكنه فقد الستر ، ففقد الأمن والأمان والاحترام .

اللهم نسألك الستر . وكانت هذه العبارة هى دعوتى فى ليلة القدر الماضية وفى كل ليلة قدر قادمة .. ونسأل الله أن تكون ساعة إجابة .

الأطلنطى وفاسو !

يا قوة الله .. ما جرى بالأمس على أرض البلقان هو بداية عصر جديد لا يعلم نهايته إلا رب العباد .. ففى اللحظة التى سقط فيها أول صاروخ لحلف الأطلنطى على أرض يوغسلافيا كانت هى اللحظة التى صدرت فيها شهادة وفاة الاتحاد السوفيتى القديم ووفاة وريثه روسيا الاتحادية . كانت حسابات العبد لله أن حلف الأطلنطى لن يجرؤ على الاقتراب من حدود روسيا . ودولة الصرب ليست جارة لروسيا فقط ولكنها صديقة روسيا الحليفة ، ولكن ثبت أن معلومات حلف الأطلنطى أكثر دقة من معلومات العبد لله . ومع توالى الضربات القاتلة لم تفعل روسيا أكثر من شجبها للعدوان الغاشم . والشجب اختراع عربى فرضه العرب على مناطق شتى فى العالم ،

ولكنها المرة الأولى التى تنضم فيها قوة عظمى كروسيا إلى طابور الشاجبين . ومن حقنا نحن العرب أن نفخر باختراعنا ، فقد نجحنا فى التأثير على دولة عظمى تملك الرؤوس النووية والصواريخ العابرة للقارات .

عشا الغلابة

ما أشبه روسيا الاتحادية بالمعلم قطب فتوة حارة الفاتح بالجيزة ، كان إذا تعرض للضرب أو للإهانة وقف فى الشارع وفتح جاعورته بكلام من نوع (أنا هاعمل الشىء اللى عمر حد ما عمله قبل كده بس عشان ما حدش يلومنى أنا باشهد الناس اللى فى الشارع ولما اقتل ثلاثة أو أربع رجالة ما حدش يجيب الحق على وخليكو شاهدين يا ناس أنا أنضرب على قفاى !؟) ولم يكن المعلم قطب يفعل شيئا أكثر من لك . ولكن الفرق الوحيد بين قطب وروسيا أن قطب كان من الصنف الغلبان ، شوكته مكسورة وظهره أيضا ، أما روسيا فهى إحدى القوتين العظميين وترسانتها الحربية تحوى أجيالا جديدة من الصواريخ عابرة للقارات وأسلحة نووية تكفى لتدمير العالم . ولكن يبدو أن هذه هى فكرتنا عن روسيا ، أما حقيقتها فقد كشفتها حملة هجوم حلف الأطلنطى على دولة الصرب . مجرد كيان غلبان ومهزوم ودايخ وخارج من القصر العينى .. وعشا الغلابة عليك يا رب !

DVD4ARAB

حلف فاسو

والشىء الذى يبعث على الفخر أن الأحداث الأخيرة أثبتت أن العرب ليسوا ظاهرة صوتية كما يزعم البعض فالواقع أنها ظاهرة حية وفاعلة مؤثرة ، وها هو اختراعنا الفريد « الشجب » ! انتقل بسرعة البرق من حدودنا إلى دول أفريقيا الغلبانة ، ومن هناك انتقل إلى الدولة العظمى روسيا ، دليل أننا نحن العرب لازلنا مؤثرين وأساتذة لنا تلاميذ من بوركينا فاسو إلى روسيا فاسو ! ويخيل للعبد لله أن العالم ينقسم الآن إلى جبهتين ، حلف الأطلنطى وحلف فاسو . وبعد ضرب دولة الصرب لن يستطيع أحد أن يفتح فمه بكلمة ، حتى الشجب سيصبح محرما وممنوعا على الغلابة والمستضعفين !

خارج السرب

الغريب والعجيب أن إسرائيل وحدها هى التى تقف وحيدة خارج حلف وارسو .. دليل أن الرئيس كلينتون بجلالة قدره عقد معها إتفاق واى بلانتيشن ، ومع ذلك قالت للعالم كله .. لن أنفذ شيئا من الاتفاق وعليكم أن تبلوا الاتفاق وتشربوا ميته ! والأغرب أن الرئيس كلينتون شجب الموقف الإسرائيلى واقترح على حكومة نتنياهو الكف عن بناء المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية ..

وردت إسرائيل . بمزيد من المستوطنات ، وخد عندك كل يوم مستوطنة .. واستنكرت الأمم المتحدة عبث إسرائيل وعربدتها فى مدينة القدس . وردت إسرائيل قائلة (طظ فى الدنيا كلها) وأمعنت فى عبثها وعربدتها فى القدس . وتكشفت الأمور عن واقع مؤلم للغاية ، الدنيا كلها بما فيها الولايات المتحدة والرئيس كلينتون فى حلف فاسو بينما إسرائيل وحدها فى حلف الأطلنطى . أليس هذا هو الوضع الحالى فى عالم اليوم !

مدرسة قطب

والذى يقهر النفس ويكسر القلب أننا نحن العرب كنا يوما ما سادة الأرض ، وكان شاعرنا يخاطب الدنيا كلها قائلا :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا
إذا الملك الجبار صعر خده
مشينا إليه بالسيوف معاتبينا

ولكن .. هل كنا حقا كما وصفنا الشاعر إياه ؟ يخيل للعبد لله أن الشاعر إياه كان من نوع المعلم قطب فتوة شارع الفاتح . فقد كان هو الآخر ينطلق هائما على وجهه فى الشوارع يجتر أزمته ويعزى نفسه قائلا :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا

والغريب أن شعر قطب من نفس الوزن ونفس البحر الذى استخدمه الشاعر إياه بتاع زمان :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا
تخر له الجبابر ساجدينا
مشينا له بالسيوف معاتبينا

والفرق أيها السادة ؟ يخيل للعبد لله أن عمرو بن كلثوم شاعر زمان نطق بهذا الشعر وهو يجلس على الرمل مستندا بظهره على جذع نخلة هارشا جلده بأظافره الطويلة رابطا حجرا على بطنه من شدة الجوع صارخا كما فعل المعلم قطب بعده بمئات السنين :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا

يبدو أنها الحقيقة أيها السادة ، والشعراء يتبعهم الغاوون ، سواء كان عمرو بن كلثوم أو قطب بن الصايعة . وأننا نحن العرب كنا فى حلف فاسو منذ بدء الخليقة وحتى الآن !

زكى جمعه

عزاؤنا الوحيد أن العالم كله دخل معنا فى حلف فاسو الآن ، ولم تعد هناك فرصة لأى أحد مهما كان أن يرفع رأسه أو يرفع صوته بالاحتجاج . وبالأصالة عن نفسى أنا السعدنى أبو عثمان أبو محمود اعترف لحضراتكم أننى موافق ومبسوط وخدام لحلف الأطلنطى وحلف المحيط الهادى وأى حلف يظهر فى المستقبل . ومستعد للخدمة فى أى وقت ومستعد أيضا لتوصيل الطلبات إلى المنازل وعلى طريقة عادل إمام .. يعيش حلف الأطلنطى .. يعيش زكى جمعة .. تعيش الوحدة العربية ! وأقول لكم بصراحة وبشجاعة وبكل الأمانة والصدق :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا !

ترعة المانش

هزنى من الأعماق نبأ انتخاب السباح العالمى عبد المنعم عبده وكيلا لاتحاد السباحة . والبطل عبد المنعم عبده بلغ الثمانين من عمره مد الله فى عمره ، وهو أكثر السباحين المصريين شهرة فى أوروبا ، بالرغم من أنه فشل عدة مرات فى عبور المانش . ولعل هذا الفشل الذى صادفه أكثر من مرة فى عبور المانش هو السبب فى شهرته وفى الاحترام العميق الذى يحظى به خصوصا فى بريطانيا . والسبب أن البريطانيين لا يحتفلون بالذى يحقق النجاح فقط ولكنهم يحتفلون أكثر بالبطل الذى يفشل ثم يعاود المحاولة من جديد . فإذا عاود البطل المحاولة أكثر من مرة ، فمعنى هذا أنه رجل مقاتل لا يعترف بالهزيمة ولا يستسلم للفشل والشعب

البريطانى شعب مجرب ، جرب الفشل أكثر من مرة خلال الحرب العالمية الثانية وأصيب الجيش البريطانى بعدة هزائم مدوية ، كانت كل هزيمة منها كفيلة باستسلامه وخضوعه للألمان . ولكنه ابتلع الهزيمة وانتفض واقفا من تحت أنقاضها وعاود القتال ، وكأن شيئا لم يكن وبراءة الأطفال فى عينيه !

●●●

وكانت هزيمة الجيش البريطانى فى دنكرك هى سبة فى جبين أى جيش . عندما اضطر عشرات الألوف من القوات البريطانية إلى ترك أسلحتهم الثقيلة والخفيفة والهروب بأنفسهم إلى الشاطىء الانجليزى عبر بحر المانش ، ولم يكن انسحابهم طبقا لخطة موضوعة ولكنه كان فرارا من جحيم المعركة ولم يكن لهم هدف إلا النجاة بأنفسهم ، واشتركت فى إنقاذهم مئات السفن التى اتفق وجودها فى البحر وقتئذ . قوارب صغيرة ومراكب صيد ومراكب شحن قليلة الحمولة . ولذلك فقد عدة مئات من الجنود أرواحهم بسبب تدافعهم ورغبتهم فى اللحاق بأى شىء يسبح فوق سطح الماء ، مما أدى إلى انقلاب بعض المراكب وغرق بعض القوارب . وتصور الألمان بعد معركة

DVD4ARAB

دنكرك أنهم هزموا الجيش البريطاني بالضربة القاضية وأنه لن يفيق منها أبدا !

معركة طبرق

وكانت معركة طبرق هى الهزيمة الثانية وهى الهزيمة الساحقة الماحقة .. على رأى المعلق الشهير عادل هريف يرحمه الله . ويومها يسقط فى الأسر عشرات الألوف من البريطانيين وأضعاف هذا العدد من الهنود وأبناء المستعمرات الأفريقية . وكانت هذه المعركة سببا فى عزل القائد البريطانى ومحاكمته . وابتلعت الصحراء مئات من الجنود البريطانيين الذين تفرقوا داخل الصحراء طلبا للنجاة ، وكانت النتيجة موت هؤلاء الجنود عطشا وجوعا . ومرة أخرى تصور الألمان أنهم تخلصوا إلى الأبد من هذا العدو المشاكس .. غير أن البريطانيين أثبتوا أنهم خبراء فى امتصاص الهزائم والعودة من جديد أكثر عنادا وتصميما على مواصلة القتال . ولذلك كان انتصارهم نهائيا لأنه تحقق بعد سلسلة من الهزائم المريرة . وحقق البريطانيون عمليا المثل القائل .. الضربة التى لا تقتلنى تزيدنى قوة .

البطل الأستاذ

والسباح العالمى عبد المنعم عبده فى نظر البريطانيين هو النموذج الحى لهذا المثل البريطانى الشائع ، فقد حاول عبور المانش مرة وفشل وحاول مرة ثانية وفشل وحاول مرة ثالثة وفشل ، ولكنه لم يكف ولم يتوقف ، كان يعود كل مرة إلى الشاطىء ويكرر المحاولة ، حتى نجح أخيرا وعبر المانش وصار أشهر مائة مرة من البطل مرعى حماد والبطل حسن عبد الرحيم وهما البطلان اللذان حققا المعجزة ، ونجحا فى عبور المانش من أول محاولة . ولم يكن أحدهما قد رأى المانش من قبل ، فليس مهما أن تعبر ولكن المهم أن تحاول إذا فشلت ثم تحاول مرة أخرى ، ثم تستمر فى المحاولة . فهذا هو النضال الحقيقى وهذا هو جوهر الروح الإنسانية التى لا تكل ولا تمل ولا تكف ولا تتوقف . فالحياة نفسها هى محاولة يومية ، كما أنها محاولة مستمرة رغم الخيبة والفشل وسوء الحظ .. فالعبد لله لا يشعر بود حقيقى نحو البطل عبد المنعم عبده وزملائه من السباحين الكبار ، لأن العبد لله يكره السباحة ويكره النزول فى الماء كما أننى فشلت مرة واحدة فى عبور ترعة سبك وقررت عدم إعادة المحاولة ، وحتى الآن

اذهب إلى شاطيء البحر كل صيف وأمارس هوايتى وهى النوم بالنهار والسهر بالليل مكتفيا بالجلوس على الشاطيء أرنو من بعيد إلى الأمواج وهى تتلاطم وإلى السباحين وهم يتلعبطون فى الماء . ومع ذلك ولأن النفس أمارة بالسوء فكرت ذات مرة فى إعادة المحاولة . وكان ذلك ذات صيف على شاطيء رأس البر فقررت أن أخوض التجربة تحت إشراف استاذ مشهود له وكان الأستاذ هو البطل عبد المنعم عبده !

مع الأستاذ

وجلس أستاذى معى على الشاطيء يشرح لى المسألة ببساطة . قال : ليس عليك إلا أن تستلقي على الماء وأن تحرص على أن يكون رأسك عاليا . وسأقوم أنا بباقى العمل . ولن تحتاج إلا إلى ثلاث محاولات ، وبعدها تصبح سباحا . فقد تتطور أحوالك فى المستقبل فتعبر المانش ، وربما تتطلع إلى أبعد من هذا فتعبر البحر الأبيض المتوسط ، وقد تقاطع شركات الطيران فى المستقبل فيصبح سفرك إلى أوربا بالمجان ، وقد تتخذ منها مهنة فى المستقبل وتأخذ المسافرين على ظهرك مرة إلى فرنسا ومرة إلى اسبانيا ومرة إلى اليونان .. وقلت

للبطل عبد المنعم عبده .. العبد لله رجل بسيط وأحلامه متواضعة وكل ما أرجوه هو أن أتمكن من عبور ترعة سبك التى لا يزيد عرضها على خمسة أمتار والتى فيها من الطين أكثر مما فيها من الماء ، والتى ليس فيها من الأسماك إلا البساريا وبعض الضفادع والديدان . ورد على البطل العالمي وقال .. كل الأبطال العظام كانت أحلامهم متواضعة مثل أحلامك ، ورحلة الألف ميل كما يقولون تبدأ بخطوة واحدة وستدخل ترعة سبك التاريخ باعتبارها الخطوة الأولى لمشوار البطل العظيم فى مستقبل الأيام . وتوكلت على الله ونزلت الماء عند شاطيء رأس البر ومعى البطل عبد المنعم عبده ، وفعلت كما أمرنى بالضبط استرخيت على المياه وفردت ذراعى أمامى ورفعت رأسى إلى أعلى ومد يده وحملنى بكفيه لكى أبقى عائما فوق الماء ، ورحت أضرب بقدمى فى الماء بشدة وأجدف بذراعى ، وقضيت نصف ساعة أبلبط فى الماء ثم قال .. هذا يكفى اليوم وغدا يوم آخر . ولكن لأن كل شيء مرهون بمشيئة الخالق ، ولأننى أريد وأنت تريد ولكن الله يفعل ما يريد ، فقد خرجت من الماء وقد شب حريق فى كف يدى ولا حرائق آخر السنة قبل الجرد !

DVD4ARAB

أفيون وحشيش

وقضيت النهار كله أهرش بأظافرى حتى تشقق جلدى ثم زادت رغبتى فى الهرش فاستعنت بأسنانى حتى بدت عظامى . وذهبت إلى القاهرة وأنا فى حالة يرثى لها وجلست أمام الدكتور حسن الحفناوى يرحمه الله ومددت له يدى وفحصنى وتمتم بكلمة واحدة . بسيطة . ثم وصف لى دواء وناولنى إياه وقال خذ حبة صباحا وحبة مساء . وقلت للدكتور الحفناوى : لقد استخدمت عشرة أدوية حتى الآن ولكن الحال ازداد سوءا . فابتسم وقال : ولكن هذا الدواء سيشفيك على الفور . وبالفعل عندما تناولت الحبة الثانية فى المساء توقفت كل الآلام واندملت الجراح وكأننى كنت أمزح .. وواظبت على تناول الدواء ، وعندما حان وقت كتابة مقالى الأسبوعى فى مجلة صباح الخير ، وجدت نفسى عاجزا عن كتابة أى حرف . لم أعد أشعر برغبة فى الكتابة وشعرت بأننى غير قادر على الانفعال ، وتحولت إلى شخص سعيد بلا مناسبة وهادىء بلا مبرر ، تجردت من كل مشاعر الغيظ والغيرة ، وتبلد إحساسى وكأننى أبله لا أرغب ولا أطمع ولا أتحمس ولا أريد . وزارنى صديق مجرب ونظر إلى وجهى طويلا

وتساءل بدهشة مالك يا محمود ؟ قلت : لا شىء . عاد يسأل : هل أكلت شىء ؟ أجبته : بالطبع أكلت بيضا وفولا فى الإفطار . قال : أسألك هل استحلبت قطعة أفيون ؟ هل بلعت قطعة حشيش ؟ قلت : أنا لا أتعاطى هذه الأشياء . قال : ولكن لون وجهك غريب وفى عينيك لمعة لم أرها من قبل . قلت : ربما من المرض الذى ألم بى . قال : وهل تأخذ دواء . قلت : نعم .. وهذه هى العلبة !

المهم النية

واختطف صديقى العلبة من يدى وألقى بمحتوياتها فى سلة المهملات وقال لى : يخرب عقلك يا محمود تتناول الكيرتزون . قلت : وما هو الكيرتزون ؟ قال : هذا أخطر دواء اكتشفه الإنسان ، هذا دواء مفعوله سحرى فى البداية ، ولكن رد فعله وآثاره الجانبية لا أحد يستطيع أن يتنبأ بها على الإطلاق . وهكذا شفيت ، ولكن قضيت أسبوعين بعد أن توقفت عن تناول الدواء فى حالة « تبليم » كأننى سكران أو مسطول أو مضروب علقة من محمد على كلاى . وقاطعت البحر وأقسمت الا أعود إليه ، وخاصمت البطل عبد المنعم عبده ، وأقسمت بألا تكون لى به علاقة لا هو ولا غيره من أبطال السباحة الميامين . لقد

ثبت أن ترعة سبك لها لعنة مثل لعنة الفراعنة وأنها أقوى من المانش ومن عبد المنعم عبده ومن حلف الأطلنطى نفسه ، وقررت عدم التعامل معها على الإطلاق ، لا فى البر ولا فى البحر . ويكفينى أننى حاولت وفشلت وسيذكرنى الجميع يوما ما رأسى برأس عبد المنعم عبده ، الذى فشل هو الآخر وحاول . إذا كان هو قد عاود المحاولة أكثر من مرة ، فالمهم النية ولكل امرىء مانوى ، وأنا نويت وانتهيت ، وليه بقى لوم العزل .. مع الاعتذار للمعلم الكبير سيد درويش . تحية للبطل الكبير عبد المنعم عبده وتهنئة من القلب لانتخابه وكيلا لاتحاد السباحة . فهو الرجل المناسب فى المكان المناسب . لعل السباحة تزدهر فى عهده السعيد ! .

حلاوة زمان

العبد لله كان أول صحفى سلط الأضواء على المشايخ من مقرئى القرآن ، وجعل من قصصهم مادة مقروءة يحرص على قراءتها ألوف القراء . وكانت البداية فى عام ١٩٥٠ عندما نشرت ما تيسر عن الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ الشعشاعى والشيخ محمد سلامة وآخرين على صفحات جريدة صوت الأمة . لم يكن أحد من الصحفيين قد سبق العبد لله فى ارتياد هذا المجال إلا الأستاذ الزجال المعروف محمد عبد المنعم أبو بثينة ، عندما خاض معركة صحفية ناجحة إلى جانب الشيخ رفعت ضد مدير الإذاعة المصرية الانجليزى الذى اختلف معه الشيخ رفعت وانتهى الحال بينهما إلى مقاطعة الشيخ رفعت للإذاعة وكان من نتيجة الحملة الصحفية التى خاضها الأستاذ أبو بثينة أن اعتذر المدير الإنجليزى للشيخ رفعت وعاد الشيخ صاحب

الصوت الذهبى ليشدو بآيات الذكر الحكيم من خلال ميكرفون الإذاعة . وبالرغم من أننى من عشاق الشيخ رفعت ، وبالرغم من إيمانى الشديد بأنه أعظم من رتل القرآن فى كل العصور بعد سيدنا بلال ، بالرغم من ذلك كنت أتمنى لو يستجيب الشيخ رفعت لطلبات المدير الإنجليزى ، فقد كان يرغب فى تسجيل القرآن كله بصوت الشيخ . ولكن بعض أبنائه وبعض أصدقائه رفض الصفقة ، ونصحوه بعدم التسجيل ، ظنا منهم أن تسجيل القرآن بصوته سيجعل الإذاعة تستغنى عن خدماته .

زاوية أسبوعية

وكانت نتيجة هذا الموقف المؤسف هو أننا خسرنا هذا الكنز الذى ليس له مثيل ،فليس للشيخ العبقرى إلا تسجيلان اثنان أحدهما يحتوى على سورة طه والآخر يتضمن سورة مريم . وفيما عدا هذين التسجيلين فهى كلها بفعل هواة استخدموا أجهزة تسجيل غير صالحة لمثل هذا العمل التاريخى الخالد . وفى عام ١٩٥٤ قمت وعلى مدى عدة أشهر طويلة بكتابة زاوية أسبوعية عن مشاهير القراء فى مصر ومنذ عمنا الكبير الشيخ أحمد ندا وإلى حبيبنا الشيخ محمود على البنا ، نسأل الله أن يرحم الجميع وأن يسكنهم فسيح جناته ، ثم جمعت المادة فى كتاب اعتقد أنه أول كتاب من نوعه عن مشايخ التلاوة

وصدر الكتاب بعنوان ـ ألحان السماء ـ ومن عجائب الصدف أنه صدر والعبد لله نزيل سجن الواحات الخارجة بتهمة الشيوعية .

صفحة كاملة

والحق أقول أنه سبقنى فى هذا العمل فصل فى كتاب من تأليف عمنا الشيخ عبد العزيز البشرى .. وكان يضم صورا غاية فى الإبداع لسياسيين وشعراء وأدباء وفنانين .. وكان من بينهم فصل عن الشيخ على محمود يرحمه الله . ومنذ صدور الكتاب ـ ألحان السماء ـ صار من عادة الصحف نشر فصول عن مقرئى القرآن الكبار . وفى سنوات الضياع خارج مصر وعندما التحقت بالعمل فى جريدة السياسة قمت بإجراء حديث مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وقمت بنشره على اتساع صفحة كاملة . وقبل نشره سألنى أحمد الجار الله مندهشا : حديث مع مقرىء ؟ ومن حسن الحظ أن أحمد الجار الله لم يكن من طبقة رؤساء التحرير الذين يفرضون رأيهم أو ذوقهم على صفحات جريدته . وبعد نشر حديث الشيخ عبد الباسط نشرت حديثا آخر للشيخ أحمد الرزيقى وبعد ذلك صارت أحاديث المشايخ مادة مقررة على صحف الكويت ، خصوصا فى مناسبة شهر رمضان !

DVD4ARAB

أبواب ثابتة

وستجد الآن فى بعض الصحف أبوابا ثابتة . بمناسبة الشهر الفضيل عن المقرئين ، وحتى القناة الفضائية المصرية تذيع برنامجا أسبوعيا عن المقرئين القدامى ، منهم من يستحقون الذكر والخلود ، وبعض الجدد منهم من يستحقون النشر عنهم أو إذاعة قصص حياتهم فى برنامج أشهر الجرائم . المهم أنه صار مألوفا الحديث عن المقرئين أو الحديث معهم باعتبارهم نجوما زاهرة فى المجتمع لهم جمهور من المعجبين هو بالتأكيد أعرض من جمهور المطربين والفنانين ، خصوصا عندما يكون المقرىء نجما من طبقة الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ أبو العينين شعيشع والشيخ الطبلاوى .

محمد جبريل

ولكنى أخشى أن تفقد هذه الطائفة اهتمام الناس بهم بعد عدة سنوات ، فلم يعد فى دولة التلاوة من يستحق الاهتمام به . البعض منهم ما يزال على قيد الحياة ولكنهم على وشك الرحيل . ولكن الساحة تضيق بالمقلدين الذين لا يجيدون التقليد وبالفاشلين الذين أخطأوا طريقهم فى الحياة فاحترفوا مهنة لا تليق بهم وليسوا مؤهلين لها . ولو ظهروا قبل ثلاثين عاما لكان مصيرهم بالتأكيد مقابر

الإمام الشافعى ، لأن مواهبهم لا تصلح إلا للقراءة فى المقابر . وصحيح أن من بين الشباب الصاعد من يبشر بالخير كالشيخ محمد جبريل مثلا ، فله صوت حسن وطريقة ممتازة . ولا أعرف الأسباب التى أدت إلى تجاهل أجهزة الإعلام المصرية له بينما تفسح فى حفلاتها الدينية وفى ميكرفوناتها وقتا طويلا لعديمى الموهبة ومعطوبى الحنجرة . قد يكون السبب فى المقاطعة هو الشيخ جبريل نفسه لأنه مغرور بعض الشىء ومفتون بنفسه على نحو ما ، ولكن لا عذر لأجهزة الإعلام لأنها تتعامل مع المواهب وليس مع أصحابها . وقد يكون الموهوب مغرورا أو مفتونا ، ولكن ما المانع إذا كانت موهبته تسعد الناس .

٥ دقائق

والعبد لله يتهم التليفزيون المصرى بأنه السبب فى انطفاء جدوة هذا الفن ، لأن مساحة تلاوة القرآن الكريم قبل مدفع الإفطار اختصروها فى رمضان الحالى إلى ٥ دقائق وكانت نصف ساعة قبل ربع قرن .. وحرمونا هذا العام من الاستماع إلى الأصوات العظيمة التى كانت تذكرنا بأننا فى شهر رمضان . أصوات المشايخ العظام : الشيخ عبد العظيم زاهر والشيخ منصور الشامى الدمنهورى والشيخ فريد السنديونى . وزمان مثلا كانوا يذيعون صلاة الفجر بالقرآن الكريم ثم بالابتهالات الدينية

ثم يختمون الفقرة بالقرآن قبل إقامة شعائر صلاة الفجر أما الآن فهم يكتفون بإذاعة القرآن فى البداية ثم الابتهالات الدينية ثم الصلاة . والعبد لله لا يتهم القائمين على أمور التليفزيون بأى شىء ، ولكنه فساد فى التنسيق وفساد فى معرفة نبض الجماهير . وهو السبب نفسه الذى أدى بهم إلى سجن صلاة الجمعة وقتا طويلا فى هذا الخندق المسمى بمسجد التليفزيون . ولولا أننا زجرناهم زجرا شديدا لبقيت صلاة الجمعة محاصرة فى هذا الخندق حتى الآن .

الفن العظيم

على العموم .. قراءة القرآن بالطريقة المصرية هى فن عظيم كما أنها الطريقة الأفضل والأحسن على اتساع العالم الإسلامى وحرام أن نترك هذا الفن العظيم يموت ونحن شهود على ذلك . وعلى أجهزة الإعلام أن تبحث عن الأفضل والأحسن لتقدمه للناس من أوسع الأبواب بدلا من الأصوات الملساء والأصوات الصلعاء .. وكلها بلا نبض ولا إحساس .

ورحم الله أياما حرص فيها الملك محمد الخامس على استدعاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد لإحياء ليالى شهر رمضان فى قصره بالصخيرات ، وأياما أخرى أوصى فيها الملك غازى ملك العراق بأن يقرأ فى مأتمه الشيخ

شعيشع والشيخ الشعشاعى .. يرحمه الله .

ما الذى جرى ؟ وكيف تغيرت الأحوال ؟ ولماذا انحسر المستوى على هذا النحو ؟

والله يرحمه ويحسن إليه عمنا المرحوم الشيخ منصور بدار مقرىء السلطان العثمانى فى القسطنطينية ، والله يرحمه ويحسن إليه عمنا الشيخ محمد رفعت والله يرحم الجميع ويغفر لهم ، من أول الشيخ محمد سلامة إلى الشيخ محمد الصيفى إلى الشيخ مصطفى إسماعيل إلى الشيخ الشعشاعى إلى الشيخ عبد العظيم زاهر إلى الشيخ السنديونى إلى الشيخ المنشاوى إلى الشيخ عبد الباسط عبد الصمد إلى الشيخ محمود البنا إلى كل المشايخ الكبار نجوم دولة التلاوة الذين سبقونا إلى رحاب الله لم يبق من هؤلاء الكبار إلا الشيخ أبو العينين شعيشع حفظه الله وابقاه ، باعتباره نفحة من حلاوة زمان . لقد تذكرت كل هؤلاء لحظة وقع بصرى على أسماء الفائزين فى المسابقة الدولية للتلاوة التى أقيمت فى دبى والتى اشترك فيها عشرات من الموهوبين من أنحاء العالم الإسلامى . ولم أجد مصريا واحدا بين الفائزين . بينما كان من بين الفائزين سودانى وصومالى وواحد من الجمهورية البوسنية وواحد من قطر .. وواحد من ماليزيا ومبروك طبعا للفائزين . وأقول لكم أننى بقدر ما حزنت لغياب

فائز مصرى واحد ، بقدر ما فرحت لفوز متسابق من جمهورية البوسنة . هذا الفائز هو مندوب شعب البوسنة الأوروبى المسلم الذى أراد المتآمرون إبادته . ولكن شعب البوسنة المسلم تصدى للمؤامرة وواجه المتآمرين وأفشل خطتهم . وبعد الحرب تمكن من أن يقدم للعالم الإسلامى شابا فى ربيع العمر يرتل القرآن بصوت جميل وبأسلوب باهر وساحر وجميل .

هذا هو السؤال

ونفس الشىء حدث للعبد لله تذكرت كل الراحلين العظام من نجوم دولة التلاوة عندما استمعت إلى شاب إيرانى يرتل القرآن الكريم فى حفل افتتاح المؤتمر الإسلامى فى طهران . كان الفتى شابا فى ربيع العمر يتمتع بلياقة بدنية عالية ، صدره صدر ملاكم ، ونفسه نفس عداء أفريقى ، وطبقات صوته سليمة سواء فى طبقة القرار أو فى طبقة الجواب وجواب الجواب . والمدهش أنه كان يقرأ بطريقة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد . وأشهد أن الشاب الإيرانى ذكرنى بالشيخ عبد الباسط عبد الصمد فى بداياته عام ١٩٥٠ . وكان نجاح الشاب الإيرانى المذهل فى أداء جميع الطبقات . جامعا فى الوقت نفسه بين قدرة الشيخ رفعت فى طبقة القرار وقدرة الشيخ مصطفى إسماعيل فى طبقة جواب الجواب . كان هذا

النجاح المذهل سببا فى أن أطرح على نفسى سؤالا : ماذا جرى لهذا الفن السماوى فى مصر ؟ وما الذى جعل المصريين يتراجعون فى دنيا التلاوة بعد أن كانت لهم السيادة وكان من بينهم العباقرة الأوائل الذين رحلوا عن دنيانا إلى رحاب الله ؟!

كتاتيب سيدنا

نعم .. ما هو سبب تراجعنا فى هذا المجال إلى الدرجة التى تحتاج إلى خبراء لرصدها ؟ ولكن من السهل على أى سميع عادى أن يرصدها ببساطة ، ليس العباقرة وحدهم هم الذين نفتقدهم الآن ، ولكن حتى المقرئين من الطبقة التى جاءت بعد العباقرة مثل الشيخ البهتيمى والشيخ هريدى الشوربجى والشيخ السعدنى والشيخ محمود عبد الحكم والشيخ منصور الشامى الدمنهورى والشيخ عبد الرحمن الدروى .

نعم .. ما السبب ؟ هل هو اختفاء الكتاتيب فى ريف مصر ؟ وبالتالى اختفاء سيدنا الذى كان يقوم بتحفيظ القرآن للأطفال وهو يمسك بيده العصا اللهلوبة لمعاقبة المهملين والذاهلين ؟

أساتذة التغذية

هل هذا هو السبب أم أن هناك أسبابا أخرى يجب اكتشافها والوصول إلى علاج لها .. ولا يمكن أن يقوم

بهذه المهمة إلا لجنة عليا من كبار علماء الدين وكبار علماء الاجتماع وكبار الأطباء وأساتذة علم التغذية . وقد يسأل سائل : وما علاقة كبار أساتذة التغذية بهذا الأمر ؟ والإجابة جاءت على لسان الشيخ أبو العينين شعيشع عندما وجهت له إذاعة لندن سؤالا عن السبب فى تراجع هذا الفن الجميل فى مصر . فأجاب بأن السبب هو اختفاء الطعام الحقيقى ليحل محله هذا الطعام البلاستيك الذى نأكله الآن . وكلام الشيخ أبو العينين شعيشع هو كلام جاد جدا وليس مزاحا . لأن الغذاء هو الذى يبنى الجسم ، والاحبال الصوتية هى جزء من جسم الإنسان . وإذا كان الطعام من البلاستك فلابد أن تكون العضلات والمجانص والضلوع والعظام والاحبال الصوتية أيضا من الصنف نفسه .

اقرأوا الفاتحة

ثم .. هناك سبب رئيسى يعتبر فى المقدمة من الأهمية وهى لجنة الاستماع فى التليفزيون والإذاعة التى أصبحت مقرا وممرا لكل الأصوات حتى التى لا تصلح للعويل والصراخ . ويقول البعض أن لجنة الاستماع حتى لو ضمت أرفع مستوى من الخبراء فإنها لن تغير شيئا ، لأن الأصوات الموجودة الآن تحتاج إلى لجنة تصليح وليس إلى لجنة استماع . وفى مواجهة هذه الأوضاع

المتردية لا نملك جميعا إلا أن نرفع أكفنا إلى رب السماء طالبين منه سبحانه وتعالى أن يرفع مقته وغضبه عنا ، وأن يمنحنا القوة على العودة إلى العصر الذهبى للتلاوة ، عصر محمد رفعت ومصطفى إسماعيل .

وتحية من القلب إلى كل شاب فى عمر الزهور اشترك فى مسابقة دبى الدولية . وتحية خاصة للمتسابقين من البوسنة ومن رومانيا ومن الولايات المتحدة الأمريكية . ومبروك للذين نجحوا ، وحظ أسعد للشباب المسلم الذين لم يحالفهم التوفيق فى مسابقة دبى .. حظ أسعد لهم فى مستقبل المسابقات .

واقرأوا الفاتحة فى هذا الشهر الكريم على روح الشيخ محمد رفعت والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، وعلى أرواح جميع العباقرة من المقرئين الذين انتقلوا إلى رحمة الله .

DVD4ARAB

البركان.. والفاسو!

بصراحة وبوضوح وبأمانة أيضا العبد لله يريد أن يصارح أبناء شعبه خصوصا جماهير الكورة منهم أن يتعلموا من إخوانهم أبناء أفريقيا السوداء .. نتعلم إيه ؟ حضارة . نحن أبناء أول حضارة عرفها التاريخ . نحن أول من كتب الكلمات على الورق ، ونحن الذين علمنا الدنيا الرسم والموسيقى والنقش على الحجر . ونحن أول من عبد ، عبدنا الطائر والعجل والشمس ، وكنا أول من اهتدى إلى عبادة الإله الواحد . حتى الحكومة المركزية القوية القابضة على صولجان العدل والحكمة هى أحد الاختراعات المصرية .

عشم إبليس

طيب .. نتعلم إيه من أفريقيا ؟ نتعلم السلوك الرياضى

ونتصرف مع النصر والهزيمة بروح رياضية . ولا اكشف سرا إذا قلت أن العبد لله والوفا آخرين من المشجعين فى بر مصر كانوا يضعون أيديهم على قلوبهم إشفاقا وخوفا على مصير منتخب مصر وهو يلعب غريبا ووحيدا وسط الألوف المؤلفة من أبناء بوركينا فاسو .

ولكن .. لماذا فى بوركينا فاسو بالذات ؟ ولقد سبق لنا اللعب فى بلاد أفريقية كثيرة ولم نجد من جماهيرها إلا كل ما يجعلنا نهدأ ونطمئن ؟ السؤال وجيه والجواب حاضر أيضا . لأن بوركينا فاسو مجهولة لنا نحن المصريين ولا نعرف عنها إلا أنها كانت معروفة باسم فولتا العليا ، ثم إن الكورة البوركيناوية ليس لها فى تاريخ الكورة الأفريقية سمعة ولا ذكر وبالطبع كان أمل مشجعى بوركينا أن يخرجوا من الدور الأول بشرف .

ولكن الذى حدث كان أعجب من العجب وصل الفريق البوركينى إلى دور الثمانية ، ثم قفز إلى دور الأربعة .

معجزة كروية ليس لها تفسير .. بوركينا فاسو تصعد لدور الأربعة بينما خرج من البطولة فرق لها تاريخ ولها عزوة ، وبعضها حجز لنفسها مكانا فى كأس العالم .

خرجت غانا وكوت ديفوار وتونس والمغرب وزامبيا والجزائر وغينيا ولم يبق إلا بوركينا فاسو . وفريق بهذا الحجم يصبح عشمه فى الكأس أشبه بعشم إبليس فى

DVD4ARAB

الجنة ، لكن ليه ؟ ما دمنا وصلنا إلى هذا المستوى فلماذا لا نكمل المشوار والفرق التى بقيت فى الميدان ليست أفضل من الفرق التى خرجت ، وهو حلم مشروع خصوصا والأرض أرضهم والجمهور جمهورهم وحكام الكورة فى مثل هذه الظروف يضطرون إلى مجاملة الفريق صاحب الملعب وصاحب الجمهور ، خصوصا إذا كان رئيس الدولة على رأس جمهور المتفرجين . وهى حالة ليست وقفا على الدول الأفريقية ، ولكنها أصبحت عامة فى مسابقات الكورة ، حتى فى قارة الفنون والعلوم وحقوق الإنسان أوروبا . أذكر أننى تابعت مباريات كأس العالم ١٩٦٦ فى لندن . وعشية المباراة الختامية بين انجلترا وألمانيا سألت الفريق عبد العزيز مصطفى . وكان وقتها يشغل منصب نائب رئيس الاتحاد الدولى . سألته من الذى سيفوز بالكأس غدا ؟ سألنى بدوره : كاس إيه ؟ أجبته : كأس العالم فيه غيره .. قال الرجل المسئول فى اتحاد الكورة : فى الكورة تكسب ألمانيا ولكن الكأس تحصل عليه انجلترا . سألته : كيف ؟ قال : بكرة تتفرج وتشوف . وفى الغد تفرجت وشفت ، وأقسم لكم بكل المقدسات أن الذى فاز بالمباراة هو فريق ألمانيا أما الكأس فقد ذهب إلى فريق انجلترا ، والفضل للحكم السويسرى ولحامل الراية الروسى . وكان أغرب شىء سمعته من

الفريق عبد العزيز مصطفى هو قوله .. ليس من المعقول أن يعطى الكأس للفريق الألمانى وسط مائة وخمسين ألف مشاهد انجليزى وعلى رأسهم جلالة الملكة .

ضحايا النصر

لذلك أشفقت على فريق مصر وسط هذه الألوف المؤلفة من أهل بوركينا فاسو ، وتمنيت فى لحظة من اللحظات هزيمة الفريق المصرى حتى يتمكن أبناؤنا من العودة سالمين إلينا . خصوصا وقد حدث فى مباراة بالدور الأول بين بوركينا فاسو وفريق آخر أن نزل جمهور بوركينا فاسو إلى أرض الملعب ، ليس بقصد ضرب الفريق المنافس ، بل للاحتفال بالفوز ، وكانت النتيجة أربعين جريحا نقلوا إلى المستشفيات بخلاف عشرات آخرين فضلوا العودة إلى بيوتهم بجراحهم . وأكدت هذه الصورة فى ذهنى حديث زميل صحفى شاب سافر مع الفريق إلى بوركينا فاسو وعاد إلى القاهرة بعد انتهاء الدور الأول وهو الأستاذ جميل كراس بمجلة صباح الخير . وصف لى الزميل جميل مدى عشق شعب بوركينا فاسو لكرة القدم .

يصرخون فى المدرجات ويرقصون ويغنون بدون توقف ، ثم كيف نزلوا إلى أرض الملعب يحتضنون اللعيبة

ويرفعونهم على الأعناق ، وأن الذين جرحوا أصيبوا بسبب الزحام . وقلت فى نفسى : إذا كان أربعون فردا جرحوا بعد الفوز فكم يكون عددهم بعد الهزيمة ؟!

أروع درس

وحان وقت المباراة مع مصر ولم يبق على الحلو إلا دقة واحدة إذا اجتازت بوركينا فاسو هذه العقبة صارت على القمة وتكون الحماسة غلبت الفن والقوة ضربت الحرفنة . ولكن الحكم الخواجا كان أشجع وأعقل من رأت عينى فى الملاعب ودارت المباراة وسط غناء الجمهور وصخبه ، ثم جاء الهدف المصرى نتيجة حركة هى خليط من الذكاء المصرى والفهلوة البلدية ، وصمت الملعب كله صمت القبور ، ثم عادت المدرجات إلى الصخب والغناء عندما اشتد الهجوم البوركينى ولكن بلا نتيجة . ثم عاد إلى الصمت بعد الهدف الثانى وهو هدف ملعوب ومرسوم وهو ثمن تعاون ومناصفة بين حازم وحسام ، ثم أطلق الحكم صفارته الأخيرة . وأغلقت عينى قلقا وإشفاقا ، ثم فتحتها لأجد ما جعلنى أقف احتراما لشعب بوركينا فاسو . لم يلق أحد منهم حجرا ولا زجاجة ولا قشرة موز . تقبلت الجماهير النتيجة بهدوء وغادروا الملعب فى نظام وهذا هو الذى يجب أن نتعلمه من مشجعى الكورة

الأفريقية ، فالفوز وارد فى مباريات الكورة والهزيمة أيضا . والهزيمة فى الكورة ليست مثل الهزيمة فى الحرب ، والفريق الآخر ليس عدوا لفريقنا ولكنه منافس له . هذا الدرس هو الذى يجب أن نتعلمه ونطبقه فى الملاعب .

العمامة الألمانى

ما أبعد الفرق بين سلوك الجمهور البوركينى وسلوك الجمهور المصرى فى مباراة فريقنا مع فريق زيمبابوى فى تصفيات مونديال أمريكا . تقدم الفريق المنافس بهدف .. وعدوك .. عنيك ما تشوف إلا النور ، زجاجات وقطع حجارة وقشر يوستفندى وبرتقال . وانتهز مدرب زيمبابوى الفرصة ولف راسه بعمامة من الجبس وكأنه أصيب بقذيفة فى معركة برلين .. وكانت النتيجة إلغاء المباراة وإعادتها على أرض فرنسا ، وخرجنا من التصفيات بخيبة الأمل راكبة جمل . سلام مربع للسلوك المتحضر لشعب بوركينا فاسو وحظ أسعد فى المباريات القادمة ، وألف شكر للبطولة الأفريقية الحالية التى أخرجت الكبار وأخرجتهم .. وأثبتت أن المنتخب المصرى من معدن البركان ، والفرق المنافسة من معدن الفاسو .

DVD4ARAB

الولد ولعة !

السؤال الذى يطرح نفسه بقوة بعد قرار النائب العام بالإفراج عن الولد الغلبان الصدمان « ولعة » الذى قدمته المباحث الجنائية للنيابة باعتباره بطل محاولة اغتيال نجم الإسكواش العالمى أحمد برادة ، السؤال الذى يطرح نفسه : كم « ولعة » الآن خلف القضبان فى السجون ؟ وهل هناك طريقة لفرز نزلاء السجون لمعرفة الذين هم من صنف ولعة والفصل بينهم وبين الذين هم من صنف المجرمين ؟ وحظ ولعة الطيب أنه اتهم فى قضية نجم على المستوى العالمى ، وحظه الطيب أيضا أنه تم القبض عليه فى عهد النائب العمومى الحالى ، وهو رجل أثبتت كل التجارب السابقة أنه صاحب ضمير حى ، وأنه مسئول ليس من الصنف الذى يهدف إلى تقفيل الدوسيهات بأى

شكل ، ولكنه يسعى إلى تحقيق العدالة والوصول إلى الحقيقة مهما كانت مرة وثقيلة على النفس . وقصة الولد الصدمان الغلبان ولعة ليست جديدة ولكنها تكررت كثيرا فى الماضى وتحدث الآن وستتكرر فى المستقبل ، ليس فى مصر فقط ، ولكن فى معظم بلاد العالم !

ولعة القديم

أذكر حادثا وقع فى الأربعينات من القرن العشرين وفى فترة الحرب العالمية الثانية .. كانت الشرطة قد ألقت القبض على مكوجى فى الجيزة يدعى سيد بكر بتهمة سرقة شقة فى الجيزة . وبعد ثلاثة أيام من القبض عليه اعترف المكوجى أمام مباحث الجيزة بسرقة الشقة وكرر اعترافه أمام النيابة ثم كرره أمام القاضى . وجاء حكم المحكمة بحبس سيد بكر لمدة عام . ولم يهتم بالحادث أحد إلا افراد أسرة سيد بكر والذين كانوا يتعاملون معه من خلال دكان المكوجى .. وبعد خمسة أشهر فوجىء الناس فى الجيزة بالافراج عن سيد بكر المكوجى . وأذكر اننا عندما سألناه عن السر فى الإفراج عنه ، طبع عدة قبلات على يده ظهرا وبطنا وحمد الله واثنى على رسله وكتبه وقال : إن المباحث ألقت القبض بطريق الصدفة على اللص الحقيقى وضبطت المسروقات عنده ، فقامت بتقديمه

للمحكمة ، فقضت المحكمة بحبسه وحكمت عليه ، وفى نفس الوقت بالإفراج عن ولعة المكوجى .. أقصد سيد بكر المكوجى !

المفقود والمولود

أبرز ما يلفت النظر فى قضية بكر المكوجى هو امتنانه الشديد لرجال المباحث وشكره العميق للقاضى الذى حكم بالإفراج عنه ، وإن كان قد ارجع هذه المعجزة إلى قدرة الله تعالى إكراما لعلاقة بكر القوية بأولياء الله الصالحين . لم يغضب بكر لأنه سجن بلا سبب ، بل اعتبر نفسه من السعداء المحظوظين . لأن بسطاء الناس فى مصر لديهم اعتقاد بأن فى مسألة السجون .. الداخل مفقود والخارج مولود . وما دام القدر حكم عليه بالسجن ، فالوضع الطبيعى أن يكون من المفقودين ، ولكن الله القادر على كل شىء شاء له الخروج ، فهو إذن من المولودين ، وينبغى لمن كان فى مثل وضعه أن يكون من الشاكرين . أما لماذا دخل ؟ ولماذا خرج ؟ باعتبار أن اقدارنا بيد السماء العالية يا نهر البنفسج .. على رأى زكريا الحجاوى !

ولعة الإيرلندى

والاكادة أن حادث ولعة يحدث كثيرا فى بلد كبريطانيا . منذ عدة سنوات أمر النائب العام البريطانى بالإفراج فورا

عن خمسة نزلاء من السجن بعد أن قضوا ١٧ عاما خلف الأسوار . وكان رجال اسكوتلانديارد قد ألقوا القبض على الخمسة واتهمتهم بنسف أحد البارات فى مدينة برمنجهام . وهو الحادث الذى أسفر عن قتل وجرح العشرات . ولسوء حظ الرجال الخمسة فقد كانوا جميعا من إيرلندا . وكانت المعركة محتدمة وقتئذ بين الحكومة البريطانية وثوار ايرلندا . وجمع بوليس اسكوتلانديارد الأدلة التى تكفى لإدانتهم ، وهى الأدلة التى أقنعت المحكمة فحكمت عليهم بالسجن مدى الحياة . ولكن من حسن حظ هؤلاء الخمسة أن رجلا صاحب ضمير حى جلس بالصدفة على مقعد النائب العمومى البريطانى ، وتصادف أنه تلقى مذكرة من أحد المحامين الذين قاموا بالدفاع عن المتهمين منذ البداية ، وعلى الفور قرر النائب العمومى فتح الملفات القديمة . ودراسة القضية من جديد بعد مرور ١٧ عاما .

قرار الإفراج

وقضى الرجل حوالى العام فى دراسة القضية ، واكتشف فى النهاية مدى الظلم الذى وقع على الرجال الخمسة . فالأدلة التى قدمتها سكوتلانديارد لا تقف على أقدام ، واكتشف أيضا أن هيئة المحكمة تعجلت النطق

DVD4ARAB

بالحكم لامتصاص غضب الجماهير ، لأنها كانت قضية رأى عام وضحايا بار برمنجهام كانوا كلهم من الأبرياء ولم يكن لهم ناقة ولا جمل فى المعركة الدائرة بين ثوار ايرلندا والحكومة البريطانية . ولم يتردد النائب العمومى بعد اقتناعه بالنتيجة التى اكتشفها فى التوقيع على قرار الإفراج عن السجناء الخمسة . وبالفعل أطلقوا سراحهم ، ويوم الإفراج عنهم كان صعبا وقفاته كيوم شنق زهران . خرج المساجين الخمسة بعد ١٧ سنة خلف الأسوار عقابا لهم على جريمة لم يرتكبوها ، وكان ذنبهم أنهم من أهل ايرلندا .. ويوم الإفراج عنهم أعد لهم البوليس منصة صغيرة وميكروفونا وسمح لهم بالحديث علنا وعلى رؤوس الأشهاد . وهاجم الرجال الخمسة البوليس وقالوا فيه أضعاف ما قال مالك فى الخمر . واكتشف الذين شاهدوا المنظر أن بعضهم دخل السجن وهو فى الثلاثين من عمره وخرج منه شيخا لا يقوى على السير ، وأن اثنين منهم انتقلا من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الشيخوخة دون أن يمرا بالشباب !

مغتصب وقاتل

وإذا كان حادث بار برمنجهام قد وقع فى فترة السبعينات فقد وقع حادث مماثل أواخر التسعينات فى

لندن عندما أصدرت المحكمة العليا حكما بالافراج عن سجين قضى فى السجن ١٤ عاما و ٨ أشهر وأسبوعا واحدا . وكان الرجل قد دخل السجن بتهمة قتل ممرضة بعد اغتصابها .. وحكمت المحكمة عليه بالسجن مدى الحياة . ولكن المحامية التى باشرت الدفاع عن المتهم منذ البداية لم تكف عن تقديم العرائض بين الحين والآخر تطالب فيها بإعادة النظر فى القضية . وكانت آخر محاولاتها أمام المحكمة العليا التى قررت إعادة النظر فى القضية . وتم هذا بالفعل . وجاء حكم المحكمة العليا بالافراج عن السجين ، وجاء فى حيثيات الحكم أن الرجل الذى اتهم بجريمة الاغتصاب والقتل لم يكن له علاقة بهذه القضية فى أى وقت .. وبالفعل انفتح باب السجن وخرج الرجل بعد أن قضى داخل الزنازين ١٤ عاما و ٨ أشهر وأسبوعا واحد !

الألوف تكفى

وهكذا نجد أن مئات من صنف ولعة فى أنحاء العالم وآخر واحد من صنف ولعة غادر سجنه فى لندن . وكلهم ولعة .. ولكن .. هناك فرق .. بينما يقضى ولعة المصرى وقته فى تقبيل يده ظهرا وبطنا لأن الله قدر ولطف ولأن العواقب جاءت سليمة ، نجد ولعة الانجليزى فى حادث

DVD4ARAB

برمنجهام حصل على ٤ ملايين جنيه تعويضا عن المدة التى قضاها فى السجن . أما ولعة الانجليزى الجديد الذى خرج من سجنه مؤخرا ، فقد سارع برفع دعوى يطالب فيها بتعويض قدره ١٠ ملايين جنيه . وسيحصل على نصفها بالتأكيد على الأقل . ما رأيكم لو أصدرنا تشريعا يحمى حقوق المساجين من أمثال ولعة ، ولا أطالب بصرف الملايين ، يكفى صرف الألوف .. ويكون التعويض بقدر المدة التى قضاها كل ولعة خلف الأسوار . على الأقل لكى نفكر على مهل قبل توجيه الاتهام !

الحاج فرج الله .. الانجليزى !

زمان عندما كنا تلاميذ فى مدرسة الجيزة الابتدائية كان من عادتنا أن نمارس لعبة كرة القدم ونحن فى الطريق إلى المدرسة نشوط بأحذيتنا أى شىء نصادفه فى طريقنا ، كوز صفيح شقة بطيخ ، قالب طوب ، زلطة ، نسخة قديمة من جريدة . وكانت كل جريدة تصدر فى عدد كبير من الصفحات تكفى لفرش مسجد . وذات صباح والعبد لله منسجم ومبسوط بعد طبق كشرى ممتاز ، رحت أشق طريقى إلى المدرسة التى كانت تقع فى الطرف الجنوبى من المدينة . ولأن الحذاء كان جديدا ومتينا ، فقد رحت أشوط كل شىء فى طريقى : مرة ببوز الحذاء ومرة ببطنه ومرة بجانبه . وفجأة رأيت فى وسط الشارع شيئا مستديرا فى حجم وشكل كرة التنس ، وكان موضوعا

بشكل يغرى (كابتن عظيم) مثلى بالتعامل معها على طريقة عبده نصحى وميمى درويش . ووقفت على مقربة من الشيء المستدير ، ثم تمطعت وتفرست على طريقة فؤاد المهندس ، وهُب على طريقة الكابتن لطيف . ولم أشعر بنفسى بعد ذلك . وأسرع بعض الجالسين على قهوة صابر فنقلونى داخل القهوة ورش بعضهم الماء على وجهى ، فلما عدت من الإغماء سمحوا للعبد لله بالانصراف ، وعدت إلى المنزل أحجل كغراب نوحى عجره ولد عابث بحجر . وعندما رأتنى الست الوالدة لطمت على وجهها ظنا منها أن سيارة نقل داست على ضناها وعلى كبدها . وعلى الفور حملنى المرحوم خالى وبعض الجيران واسرعوا بى إلى الحارة التى تقع خلف حارتنا وأدخلونى منزلا تعلو بابه يفطة كبيرة « الشفا من الله .. الحاج فرج الله المجبراتى » .

وخسرت الحذاء

وبعد قليل دخل الحجرة التى أرقد فيها على دكة خشبية رجل فى حوالى الستين من عمره يضع على رأسه عمامة ويلف جسمه بعباءة سوداء من نفس النوع الذى يستخدمه عمد الريف فى مصر . وخلع الرجل

حذائى وراح يتحسس قدمى بأصابعه ، ورحت أنا الآخر أصرخ كلما ضغط بأصابعه ، ثم توقف الرجل لحظة وقال فى سعادة : الحمد لله ربنا قدر ولطف . واحتجت بعد ذلك إلى عدة جلسات تدليك بدهن معين من اختراع الرجل المجبراتى . وشفيت بعد ذلك وإن كنت قد خسرت حذائى إلى الأبد .

وقع هذا الحادث منذ ستين عاما . وكانت هذه هى أول مرة أتعامل فيها مع طبيب « الدكتور » الحاج فرج الله الذى يرفع شعار .. الشفاء من عند الله .

تقرير هيوستن

ولم أتعامل بعد ذلك مع أطباء من خريجى كلية طب الحاج فرج الله ، لأن المستشفيات انتشرت بعد ذلك والدكاترة افتتحوا عيادات فى كل مكان . لم أتصور فى أى لحظة أننى سأذهب بنفسى وعلى قدمى إلى عيادة الحاج فرج الله بعد مرور هذا الزمن الطويل . الحاج فرج الله لم أجده فى بولاق الدكرور أو منيل شيحة ، ولكنى وجدت الحاج فرج الله الانجليزى .

وأصل الحكاية أننى أرسلت كل الأوراق التى تضم تفاصيل مرض ابنى أكرم إلى مستشفى هيوستن ، وحمل

الأوراق الصديق الإنسان والوزير السابق أحمد نوح ، فهو معتاد على مراجعة أطبائه في مستشفى هيوستن منذ سنوات . وعاد عمنا أحمد نوح بتقرير من المستشفى يحمل تشخيصا لمرض أكرم .. وذهبت إلى لندن مع أكرم استعدادا للسفر إلى أمريكا .

العيش والسكر

ولكن حدث أن اجتمعت ببعض الأطباء المصريين الذين يعيشون بالعاصمة البريطانية ، منهم الدكتور فايز بطرس والدكتور يسرى الجزار والدكتور محمد الوحش النجم الساطع فى الوقت الحالى فى لندن . واقترح الدكتور هشام العيسوى على العبد لله أن أعرض أكرم على أحد المشتغلين بالطب وهو انجليزى متخصص فى تشخيص الأمراض بدقة وفى وصف الدواء الذى يصلح لعلاجها . لم يكن فى عيادة الرجل إلا جهاز صناعة المانية ، يمسك المريض بجزء خارج من الجهاز يشبه الفتيس ، وبعد فترة من الضغط على الأزرار يعطى الرجل الوصفة المطلوبة للقضاء على مرضه الذى عذبه طويلا ، وصفة بسيطة وغريبة . ممنوع أكل الخبز وممنوع استخدام السكر ، لا شاى ولا مشروبات ولا ليمونادة ولا بغاشة ولا بلح ولا .. ولا .. ولا .. وداعا للسكر والعيش .

دكتور الحقنى

وسلمنى الرجل إيصالا بالأجر الذى يتقاضاه ، وعندما ألقيت نظرة على الإيصال ادركت أنه ليس طبيبا وأنه ليس من خريجى كلية الطب ، وأن الجهاز الذى شاهدته فى عيادته هو كل مواهبه ومؤهلاته . وزيادة فى معرفة الحقيقة أجريت اتصالا بالدكتور هشام العيسوى وقلت له : هواجسى بأن الرجل الذى عرضنا عليه أكرم ليس طبيبا وكانت صدمتى شديدة عندما أكد الدكتور العيسوى هواجسى وظنونى .

يا للهول .. على رأى عمنا يوسف وهبى . ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين وبعد عمليات نقل الكبد ونقل القلب وزرع الرئتين واستنساخ النعجة دوللى ، بعد هذا كله أعرض ابنى الوحيد الذى عرضته من قبل على أطباء مايو كلينيك فى أمريكا ولندن كلينيك فى لندن ، أعرضه على هذا الدجال فرج الله الانجليزى . ورد الدكتور العيسوى فى هدوء . الانجليز عندهم مثل ممتاز . فلننتظر ونرى . ثم قال لى فى هدوء أكثر .. كلمنى بعد أسبوع .

DVD4ARAB

وتحققت المعجزة

ولكن .. ما هو مرض أكرم الذى دوخنى دوخة ينى ؟ وجعلنى أطوف على كل عيادات الصدر والباطنية والامراض النفسية ثم الجانى فى النهاية إلى زيارة الحاج فرج الله الانجليزى . كان فى البداية مرضا صدريا أفقده صوته وأدخله العناية المركزة عدة مرات ، ثم خلصه الله من هذا المرض بواسطة اخصائى أمراض الصدر العبقرى دكتور سيترون بمستشفى برومبتون . ثم خلصه الله من بعض الأمراض الباطنة على يد أطباء مايو كلينيك . ولم يبق من مخلفات الحرب اللعينة بين أكرم والمرض إلا بعض أعراض بسيطة ، كلما تناول طعاما شعر بضيق فى التنفس ودوخة ، وينتهى الأمر بتفريغ ما فى معدته من طعام . ولأننى كالغريق الذى يتعلق بقشة ، فقد قررت أن أنتظر وأرى كما نصحنى الدكتور العيسوى . وبالفعل انتظرت وعدت للاتصال بالدكتور العيسوى لأشكره .. صحيح .. الشفا من الله .. وليس من أى أحد آخر . عندما كف أكرم عن أكل الخبز ، وعندما ابتعد تماما بشكل حاسم عن السكر ، عاد شخصا سويا . لم يعد يشعر بعد الآن بضيق فى التنفس ، ولم يعد يشعر بالدوخة ، والزن الذى كان ينتابه فى رأسه ويشبه نباح كلب مسعور بعد

تناول وجبة الطعام اختفى بأمر ربى واستقر الطعام فى مكانه فلم يعد أكرم يشعر برغبة فى الترجيع . وقلت للدكتور العيسوى .. يا سبحان الله .. نجح الحاج فرج الله فى علاج ما فشل فيه أعظم الأطباء . كان رد الدكتور العيسوى .. كل شىء بإذن ربى .. وكان تعليق الدكتور محمد الوحش .. هذا شىء لم نتعلمه فى الكتب الطبية ولا من خلال الممارسة العملية أما تعليق الدكتور فايز بطرس فكان على النحو التالى .. قال ضاحكا .. يا محمود .. أكرم كما سبق أن قلت لك ليس مريضا وهذا الرجل صاحب الجهاز ليس طبيبا . ولذلك ليس غريبا أن ينجح الذى ليس طبيبا مع الذى ليس مريضا.

وبعد .. ما رأى القراء وما رأى الأطباء . وعلى كل حال العبد لله الغى رحلته مع أكرم إلى مستشفى هيوستن اكتفاء بالتردد على عيادة الحاج فرج الله الإنجليزى وإيمانا بنظرية الشفاء من عند الله !

منظمة مشمش

العبد لله ضد حبس الصحفيين لألف سبب .

أولا لأن العبد لله صحفي ومن مصلحتى إلغاء عقوبة الحبس لأبناء هذه المهنة ، وثانيا لأنى جربت السجن ، وأستطيع أن أقول إن السجن أسوأ حادث يقع لإنسان ، ولكنى فى الوقت نفسه أرفض بشدة أن يتحول الصحفى إلى سلطة اتهام يوزع صكوك الغفران على بعض الناس ويتهم آخرين بالخيانة وبيع الأوطان .. لأن اتهام إنسان بالخيانة دون وجه حق هو دعوة صريحة لقتله .. لأن من حق أى مواطن يكتشف خيانة مواطن آخر أن يطلق النار على رأسه أو يرشق مطواة قرن غزال بين ضلوعه . ثم من هو الذى من حقه اتهام إنسان آخر بالخيانة دون وجه حق ؟ والجريمة .. جريمة الصحفى تكون أكبر عندما يكون الاتهام موجها

لواحد من خيار الناس ، وبالنسبة ليوسف والى بالذات .. فالرجل ليس من آحاد الناس ، إنه نائب رئيس الوزراء وهو أيضا سكرتير عام الحزب الحاكم .

وإذا كان يوسف والى خائنا ، فالواجب يفرض علينا محاكمة الجميع ، فكيف سمح النظام لأحد رموزه بارتكاب جريمة الخيانة إلا إذا كان الجميع خونة بلا استثناء ؟ فهل من حق الصحفى أن يتحول إلى مدع عام يوزع الاتهامات على الجميع دون سند أو دليل ؟ واتهام يوسف والى بالخيانة تردد على صفحات جريد الشعب وهى فى نفس الوقت لسان حال حزب العمل ، وهو حزب معارض ومن أحزاب الأقلية . ويقوده رجل من أشرف الرجال الذين يعملون فى العمل السياسى والعمل الوطنى ، وهو المهندس إبراهيم شكرى . فهل السيد إبراهيم شكرى يوافق على أن تتحول جريدته إلى محكمة تفتيش ؟ فهذا خائن وهذا كافر وهذا زنديق . وذكرنى موقف جريدة الشعب بسلوك تنظيم شيوعى قديم كان الشيوعيون يطلقون عليه من باب السخرية « تنظيم مشمش » ، وكان عدد الأعضاء فى تنظيم مشمش لا يزيدون على ثلاثين شخصا ، وكان عدد المعتقلين منهم لا يزيد على ٧ أشخاص ، مع أن المعتقل كان يوجد به

DVD4ARAB

أكثر من ألفى شخص ينتمون إلى تنظيمات حدتو والراية وعمال وفلاحين وطليعة الشيوعيين . ولكنى لاحظت أن الأعضاء السبعة من تنظيم مشمش لا يتكلمون مع أى شخص آخر ، كانوا أحيانا يتبادلون الحديث مع العبد لله ، ربما لأنهم كانوا متأكدين من أننى لست منضما لأى تنظيم . طيب .. ولماذا لا تتحدثون مع الشيوعيين الآخرين ؟ هكذا سألت أحدهم مرة ، وكانت دهشتى عظيمة عندما جاءنى الجواب .. قال عضو مشمش لا فض فوه ومات حاسدوه : لأن هؤلاء جميعا بوليس . كل هؤلاء من المثقفين والأدباء والصحفيين والعمال بوليس ومهمتهم الوحيدة فى الحياة تعقب جماعة مشمش وإرسال التقارير عن تحركاتهم ولفتاتهم وهمساتهم إلى المباحث المصرية والمباحث الفيدرالية الأمريكية والأسطول السادس وحلف الأطلنطى . والغريب أن الجواب جاءنى من زعيم مشمش بالإيجاب . قد لا تصدقنى ، ولكنها الحقيقة التى لا ينكرها ولا ينفيها إلا المتعاملون مع البوليس .

وجريدة الشعب تقوم فى الوقت الحاضر بدور تنظيم مشمش . فهى لسان حال حزب العمل كما قلت ، وهو حزب معارض ومن الأقلية ، وجريدة الشعب توزع عدة

ألوف من النسخ فى كل عدد وفى شعب يزيد عدد سكانه على ٦٠ مليون نسمة . فهل من حق من كان فى مثل هذا الوضع أن يتهم الناس بالخيانة والعمالة ، وأن يصدر ضدهم حكما لا يقبل المعارضة ولا استثناء ؟ إن النائب العام هو الوحيد الذى من حقه توجيه مثل هذا الاتهام . ولكن حتى مثل هذا الاتهام الصادر من النائب العام يبقى مجرد اتهام حتى تصدر المحكمة حكمها وبعد أن تمنح الفرصة للمتهم أن يدافع عن نفسه . فهل منحت جريدة الشعب الفرصة للدكتور يوسف والى لكى يدافع عن نفسه ؟ أم اكتفت بإصدار حكمها على الرجل بالخيانة ؟ على أساس أنها مسألة لا تحتاج إلى دليل أو إثبات . وأقول لكم بصراحة .. العبد لله لم يكن منزعجا عندما اتهمت جريدة الشعب السيد حسن الألفى وزير الداخلية السابق بالتربح واستغلال النفوذ . لأن كل موظف عام يمارس ما يمكن أن يجعله عرضه لتوجيه مثل هذا الاتهام إليه . فإن ثبت صحة الاتهام ، فللجريدة أجران ، لأنها اجتهدت وأصابت . أما إذا كان اجتهادها خاطئا ، فالعقوبة فى الدول التى اخترعت الصحافة هى الغرامة . وهى غرامة تجعل من كل صحفى أكثر حذرا من السنجاب ، وأكثر نوما من الكسلى ، لأنها غرامة قد تؤدى إلى إفلاس الجريدة وإغلاقها بالضبة والمفتاح . هذا فى حالة اتهام

موظف عام بالرشوة والتربح . ولكن الاتهام بالخيانة شيء آخر . فليس هناك علاج للخيانة إلا بتصفيته ، وليس من حق الخائن أن يعيش بيننا يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي بين الناس في الأسواق . طيب .. كيف الخروج من هذا المأزق الذي نواجهه الآن ؟ مع التسليم بأن الصحفيين الذين صدرت ضدهم أحكام بالسجن ارتكبوا جريمة في حق مواطن شريف . هو يوسف والي . لابد من التسليم بهذه الحقيقة مع حرصنا في الوقت نفسه على عدم سجن الصحفيين في قضية نشر . وفي رأي العبد لله أن نشر جريدة الشعب اعتذارا للدكتور يوسف والي بأقلام هؤلاء الزملاء الذين اتهموه ، ليس على صفحات عدد واحد ، ولكن على صفحات ٣ أعداد متتالية ، وأن يكون الاعتذار وافيا وكافيا لإرضاء الرجل الذي اتهموه بالخيانة . وإذا حدث هذا فصافي يا لبن .

والعبد لله سيكون أول من يتوجه للدكتور يوسف والي أناشده ضرورة القبول بالاعتذار وقبوله العفو عن هؤلاء الذين اتهموه .. وليكن هذا الموقف درسا لكل الصحفيين . فاتهام الناس بالخيانة ليس بالأمر الهين . ولابد أن يكون للمجلس الأعلى للصحافة دور في وقف مثل هذه الحملات إذا تجاوزت كل الحدود ، لأن دور المجلس الأعلى

للصحافة الآن يشبه دور قوات الأمم المتحدة في جنوب لبنان ، مهمتها هي مشاهدة طائرات إسرائيل وهي تقصف قرى الجنوب اللبناني ومتابعة مدافع اليهود وهي تدك أحياء مدينة صور وقرى إقليم التفاح .. ثم تقرير بما حدث وبدون تعليق ! مع أن الواجب كان يقتضي أن يتدخل المجلس لفض هذه المعركة في بدايتها وقبل أن تتطور ، خصوصا وعلى رأس المجلس رجل فاضل هو الدكتور مصطفى كمال حلمي وهو على صلة طيبة بالجميع . ولكن الذي حدث أن المجلس صمت والجميع وقفوا يتفرجون حتى خيل للبعض أن بعض أجنحة في السلطة تقف وراء الحملة بالتحريض والتشجيع المرة الوحيدة التي رأيت فيها محاولة لوقف هذا السلوك الصحفي المرفوض جاءت من جانب الزميل مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين السابق ، وعندما استهجن بشدة تصرفات جريدة الشعب باتهام أحد رموز النظام بالخيانة . وقد حدث هذا في مواجهة الزميل مجدى أحمد حسين رئيس تحرير الجريدة . كان من واجب المجلس الأعلى انتهاز الفرصة في تلك اللحظة وبحث الأمر قبل أن يتطور إلى الحد الذي انتهى إليه .

وبعد .. فإن الاقتراح الذي عرضه العبد لله في السطور

DVD4ARAB

السابقة هو حل عملي للخروج من هذه الورطة ، اقصد خروجنا كصحفيين من الورطة التى وضعنا أنفسنا فيها . اعتذار جريدة الشعب للمواطن الفاضل المتهم بالخيانة على مدى أشهر ، اعتذار على صفحات ثلاثة أعداد وباقلام السادة الزملاء الذين اتهموا الرجل الفاضل بهذه التهمة النكراء ، وبعدها يكون من حقنا أن نطلب بوقف تنفيذ الحكم وعدم تنفيذ عقوبة السجن فى أى قضية نشر قادمة . أما قبل نشر مثل هذا الاعتذار فنكون كمن يطلب للسادة الصحفيين امتيازا كامتياز السادة المستعمرين أيام زمان . وهو وضع لا أحد يقبله ولا أحد يرضاه .
ويا حضرات الزملاء الصحفيين .. اتهموا الناس بأى تهمة إلا الخيانة ، فالخيانة ليست تهمة ، إنها حكم بالإعدام ودعوة لكل الناس لتنفيذه فى أى وقت وفى أى مكان .

ومن ينفذه دخل الجنة وعلى رأسه قنديل .. وقيل قنديلان !

شهر الأحزان !

أشد المواقف تعذيبا للنفس هو الوقوف فى طوابير الانتظار ، والطوابير التى أقصدها ليست طابور المسافرين بالطائرة إلى أوروبا أو طابور الجمعية الاستهلاكية للحصول على الحصة المقررة من اللحمة والفراخ ، ولكن الطابور الذى أقصده هو طابور الحياة نفسها ، الطابور الذى يصطف فيه البشر انتظارا لطلب الاستدعاء الذى فرضته نظرية الحياة على صنف البني آدمين . نظرية الشروق والغروب والبداية والنهاية ، والميلاد والموت .

ومع أننا جميعا منتظرون فى الطابور منذ لحظة الميلاد إلا أن الناس لأنهم آخر طمع وآخر جشع ينسون هذه الحقيقة أو يحاولون نسيانها ، ولكى تستمر الحياة فلابد

من الصراع من أجلها . البعض يصارع من أجل الثروة ، والبعض يصارع من أجل الثورة ، ناس تسعى على أكل عيشها وناس تسعى من أجل المليون الرابع . وفى ذروة الصبا والشباب ينسى الجميع أنهم فى الطابور وأنهم فى انتظار طلبات الاستدعاء . ويتصور بعض الحلنجية أثناء السابق أن موت الآخرين هو نتيجة فشل أو خيبة أو سوء حظ ، كراكب الطائرة الذى يمسك فى يده جريدة الخبر الرئيسى فيها عن سقوط طائرة وموت جميع ركابها ، وبالرغم من ذلك يصعد السلم ويستقر على مقعده ويربط الحزام ، على أساس أن ما جرى للآخرين لن يجرى عليه ، ليه ؟ لأنه حدق وعينه مفتوحة وحظة بمب وصحته أيضا ورزقه فى رجليه وسيعيش حتى لنهاية وسيشرف بنفسه على دفن الآخرين !

الوظيفة هى الحياة

ولكن هذا الغرور الوقح يبدأ فى التعامل مع الحياة بتواضع بعد سن الستين . فالستون بمثابة إنذار جاد جدا خصوصا للسادة الموظفين ! سن الستين هى نهاية الحياة المعتادة التى تبدأ بالخروج من البيت والوصول إلى المكتب

وشرب القهوة وقراءة الجريدة ثم دخول المتعاملين .. المرتعش والمتخلف والمحتاج والمتوسل والشريف والكذاب والنصاب وصاحب الفلوس وصاحب النفوذ ، ثم فترة المساء على القهوة وشرب الشيشة ومسح الجزمة وشراء ورقة اليانصيب ، ثم غدا يوم آخر ثم يو آخر ثم يوم آخر وإلى سن الستين ، وبعدها يفقد الموظف وظيفته وغالبا يفقد حياته فى العام التالى مباشرة ، فإذا كان الموظف حسن الحظ ففى العام الذى يليه !

سوابق العبد لله

ولذلك يعيش الحكام والمهنيون والفنانون والأدباء ورجال الأعمال والصياع وقتا أطول من زمن الموظف ، ولكن بعد السبعين يصبح الشعور بالقلق والانتظار فى الطابور أصعب وأكثر مرارة ، فهذا وقت الاستدعاء . الخطابات تم تحريرها ، ولكن البريد أحيانا يسرع وأحيانا يتلكأ . والعبد لله فى هذا المرحلة من الحياة الآن ، أحيانا أنسى وأنهمك فى الحياة وكأننى ساعيش أبدا ، واتفق على مشروعات قد تستغرق عشرة أعوام ، ثم تنهال على رأسى ضربات شديدة موجعة وموحية أيضا ؛ ضربة من

DVD4ARAB

هنا وضــربة من هناك ، يصل طلب الاستـدعاء فـجاة إلى زميل أو صـديق من جيل العـبد لله . أحيـانا تكون الصلة بعيدة فـلا أشعـر بالوجع ، وأحيـانا تكون الصلة قريـبة فـأشعـر أن الذى اسـتدعـوه هو العـبد لله وسـوابقى فى الحـياة تضـاعف هذا الإحـساس . ذات يوم بعـيد جـاءوا بكشف للإفراج عن بعض المعـتقلين من معـتقل الواحات ، وتمنيت على الله أن يكون اسـمى أول الأسمـاء ، ثم راحوا يتلون الأسـماء ، اسم ورا اسم وقلبى يهـبط مع كل اسم ينطقـون به حتى خـرج قلبى من كـعب قدمى ، وقـبل أن يطووا الورقة نطقوا اسم العبد لله ، ولكنى لم أسمعه لأنى كنت قد فقدت الحواس الخمس . مرة أخرى جاءوا بكشف يضم عدة أسماء مطلوب ترحيلهم من معتقل كلية الشرطة إلى سجن القلعة ، ولحكمة يعلمـها الله كان إسمى هو أول الأسمـاء . المسـائل ماشـية بالعكس مع العـبد لله لسـبب لا أدريه . عندمـا أطلب التأجـيل أجد نفـسى فى المقدمة، وعندما أطلب التقديم أجد نفسى فى آخر الصف !

جـلال وشـوقى

وشــهر مــارس بالذات وبالنسـبة للعـبـد لله هو شـهـر الأحزان ، ومـارس الجارى الذى نحن فـيه وجـه لى عدة

ضربات موجعة ولا ضربات هولفيلد فى رأس تايسون .. وصلت طلبـات الاسـتدعـاء إلى اثنين من رفـاق الرحلة ، اثنان من جـيل العـبـد لله . بلبل الإذاعـة جلال مـعـوض والشاعر الغنائى والكاتب المسرحى عبد الرحمن شوقى . وجلال مـعوض بالذات كـان علامـة على عصـره ، وكان عـقائديا بدون شـعارات وبـدون أيدلوجيـات ولم يرتكب جريمة قتل الآخرين على الهوية ، وظل إلى آخر لحظة فى حيـاته صديقـا للجمـيع ، وكان من بـين أصدقائـه أمراء وشـعراء وفـنانون ومطربون ونشـالون ورجـال أعمـال وثوار وصياع على باب الكريم ..كان كالنسمة الطرية فى ليلة صـيف حارة ، ومـثل كـوب ماء مـثلج فى صـحـراء الواحـات . ولم يتنازل عن مبـادئه قط ولم يتـاجر فـيهـا أيضـا ، وكمـا أراح الناس فى حيـاته اراحهم فى مـوته . لم يتعـذب ولم يعذب أحدا ، وذهب الصـديق الطيب جلال معـوض فجأة ، وحـرمتنى الظروف الصعـبة من أن ألقى عليه نظرة الوداع .

عصابات النقد

أما عبـد الرحمن شوقى الموهوب المهذب فـهو صديقى قـبل أن يكـون صـهـرى ، وهو كـاتب ممتــاز ومنحـاز

للجماهير ، ولكنه غير منتم ، وعصابات النقد فى بلادنا مثل عصابات دلنجر وآل كابونى تفسح الطريق للشلة بالرصاص ولا تهتم بمن يلقى مصرعه ، وهم يفتحون السكة إلى البنك أو إلى المطبعة .. لا فرق . ولأن عبد الرحمن شوقى ينتمى إلى جيل الستينات ، فقد اكتشف فجأة أنه لم يعد يطرب أحدا فى التسعينات . فى المسرح يبحثون عن الراقصة أولا ثم عن النص بعد ذلك . فإذا توافرت الراقصة فلا داعى للنص على الإطلاق ، وفى التليفزيون يبحثون أولا عن المنتج المنفذ ثم عن النجوم ثم بعد ذلك أى ورق وأى مؤلف .. ولولا أسامة أنور عكاشة فى التليفزيون ووحيد حامد فى السينما ، ولولا عادل إمام ومحمد صبحى فى المسرح لقلنا إن الفن المصرى صار إلى زوال ، وسقط عبد الرحمن شوقى مريضا ثم رحل عن دنيانا بعد صراع طويل مع المرض اللعين . والعذاب الذى عاناه عبد الرحمن شوقى فى الأسابيع الأخيرة جعلنى أسأل الله أن تكون النهاية سريعة وخاطفة كلمح البصر .

رحم الله جيل العبد لله الذين وصلتهم خطابات

الاستدعاء وفرضوا على العبد لله الانتظار مرتعشا فى الصف الطويل انتظارا لساعى البريد ، الذى أرجو أن يتأخر . فبالرغم من كل شىء وأى شىء الحياة أحسن وأفضل حتى فى أحط درجاتها وفى أحقر مستوياتها .. وهو المعنى الذى أبرزه الكاتب الأمريكى (أدوين شو) [الموتى يرفضون الدفن] حيث رفض بعض الجنود الدفن بعد أن قتلهم رصاص العداء ، وكان من بينهم عسكرى صعلوك شديد الفقر شديد الغلب كثير المشاكل ، ونهره الشاويش وهو على باب القبر .. حتى أنت ترفض الدفن ، لقد كانت حياتك المدنية قطعة من العذاب . كنت صعلوكا لا تجد ما تأكله ، وكنت تشرب ما يتبقى فى أكواب الشاربين ، وإذا أكلت فمن صناديق القمامة مع القطط والكلاب ، وكانت أعقاب السجاير هى كل ما تستطيع الحصول عليه ، والآن ترفض الدفن وتريد العودة إلى تلك الحياة . هل تستطيع أن تقنعنى بسبب واحد يدفعك إلى التمسك بالحياة ؟ ورد الجندى الذى كان صعلوكا قبل الجندية : لقد كانت حياتى وأنا أحبها . هذا هو الكلام المفيد .. لقد كانت حياتى وأنا أحبها . وإذا كان

عمنا أبو العلا المعرى قد هاجم هذا الصنف من الناس قائلا :

تعب كلها الحياة فما
أعجب إلا من راغب فى ازدياد

وكلما قرأت هذا البيت شعرت أن بينى وبين ابن العلاء ثأرا لا يهدأ ، فهو لا يقصد أحدا بهذا البيت إلا العبد لله . فأنا الراغب فى ازدياد رغم التعب ورغم النكد ورغم مؤتمر عبد العزيز البابطين وندوات تليفزيون دبى الدينية بقيادة مستشار شركات الريان والدكتور أشرف السعد . وبالرغم من هذه المنغصات إلا أنها حياتى وأنا أحبها اللهم أرجو أن تكون ساعة استجابة اللهم إنك على كل شىء قدير !

الشغب والشغبوب !

سألنى أحدهم : هل صحيح هناك فرق بين الشغب والشغب ؟ الشغب الأولى بتشديد الشين وفتحها وفتح الغين ، والشغب الثانية بتشديد الشين وتسكين الغين .. وهل صحيح أن معنى الأولى يختلف كثيرا عن معنى الثانية ؟ فأجيب الأخ السائل : نعم هناك فرق بالتأكيد ، والذى وضع يده على هذه الحقيقة هو العالم المصرى ابن منظور فى قاموسه الرائع لسان العرب ، وهو عمدة القواميس العربية فى كل العصور . عمنا ابن منظور حدد الشّغب بأنه تمرد العامة أو الحرافيش أو الدهماء يعنى كدة زى الهبة التى حدثت فى زمن الرئيس أنور السادات . والتى وصفها السادات بأنها هبة الحرامية . أما الشغب بتسكين الغين فهو تمرد الجند شىء كده يشبه ما حدث فى زائير

في عهد المأسوف على شيخوخته الجنرال سيسي سيكو .

حظ ابن منظور

وإذا طبقنا نظرية عمنا ابن منظور على ما يدور حولنا في أنحاء العالم فسنكتشف أن ما يجرى في شوارع ماليزيا هومن نوع الشغب بفتح الغين ، وما يجرى في شيلي على يد بينو شيه هو من نوع الشغب بتسكين الغين . ولكن عمنا ابن منظور لم يكن محظوظا لأن أيامه لم تطل على الأرض حتى يشهد المستجدات الجديدة في فن المشاغبة . فما يحدث الآن في شوارع أندونيسيا هو سكلانس من الشغب بفتح الغين وتسكينها وهو في حاجة إلى نحت كلمة جديدة لوصف الحالة إياها لقد حدث التحام وانسجام بين المشاغبين من العامة والمشاغبين من الجند ، وأهدى الطلبة باقات الزهور للجنود الذين يسددون فوهات المدافع إلى صدورهم ثم تصافح الجميع وأصبح الجانبان سمنا على عسل .

لسان ابن سعدون

وهذا الموقف الجديد والغريب معا لم يرد له ذكر على صفحات لسان العرب للعلامة المصري ابن منظور . ولكن

مصر على كل حال ولادة ، وباعتبار العبد لله خليفة لعمنا ابن منظور ، فمن واجبي أن أضع تفسيرا لهذا التغيير الذي طرأ على المشاغبة وجرى تطبيقه عمليا على أرض أندونيسيا ، ويرى العبد لله أن أدق تعريف لهذا الذي يجرى في شوارع أندونيسيا هو الشغب بتشديد الشين وضمها وضم الغين أيضا فيقال وقع شُغُّب في المكان الفلاني ، فيفهم القارىء أن التمرد شمل جميع المشاغبين .. العامة والقوات الخاصة أيضا أهل الشارع وأهل السلطة . وأعد حضراتكم بمزيد من التفسير في كتابي القادم [لسان] للعلامة ابن سعدون الذي هو حضرتنا والذي هو أيضا على وزن ابن منظور !

كلهم عرب

أما لماذا كتابنا الجديد سيكون بعنوان لسان فقط دون ذكر العرب ؟ لأن كلمة لسان تغني عن كل شيء وسيفهم القارىء الذكي أن كلمة لسان فقط تعني العرب أيضا ، بعد أن اتضح أن العرب هم الجنس الوحيد الملسن على كوكب الأرض . الدليل على ذلك هو إعلان طارق عزيز أن طرد المفتشين الخواجات من العراق لا رجعة فيه ، وأن الضربة الأمريكية المرتقبة لا تخيف أحدا ، وأن المرشال

DVD4ARAB

عزيز سيخوض الحرب إذا فرضت عليه . ثم عاد المارشال نفسه بعد أيام قليلة ليعلن أن البعض أساء فهم تصريحاته ، وأنه كان يقصد أن المفتشين هم إخوان العراقيين وأنهم يستطيعون الدخول والخروج فى أى وقت ، لأن حدود العراق مفتوحة لكل الإخوة العرب ، وهؤلاء المفتشون صاروا عربا بعد أن أمضوا فى العراق العربية ٨ سنوات كاملة والقانون الإنجليزى مثلا يعطى الجنسية البريطانية لمن يقضى على أرض الجزر البريطانية ٤ سنوات فقط .

البندق والبنادق

والسلطة الفلسطينية أيضا أعلنت فى ساعة تجلى أن الفلسطينيين سيشقون طريقهم نحو الدولة وعلى طريق القدس بالبنادق والخنادق ، ثم عادت وأعلنت بعد ٢٤ ساعة فقط أنه حدث سوء فهم للكلمات التى صدرت عن السلطة وأنها كانت تقصد أنها ستشق طريقها عن طريق البندق والفندق ، البندق بمناسبة شهر رمضان المبارك ، والفندق حيث تجتمع الوفود للمناقشة والمناغشة والملاعبة والمراعية ، يعنى تراعينى قيراط أراعيك قيراطين ، تعطينى ريق حلو أعطيك مستوطنة .

ولكن يبدو أننا ابتعدنا كثيرا عن بحثنا الرئيسى . كنا نتكلم عن الشّغْب والشّغَب والشُّغُب فاستغرقنا الحديث وأخذنا إلى مكان آخر .

هناك نوع جديد من الشغب لم يكن له وجود فى دنيا الناس من قبل وهو شغب الحكومة ، وهو الشغب الذى تشهده المنكوبة أفغانستان . لأن حكومة طالبان هى المصدر الأساسى للشغب ، إنها حكومة مشاغبة ومنشغبة ومشغوبة أيضا إنها حكومة على رأس واجباتها تشجيع الإرهاب وحماية الإرهابيين ، والزى الرسمى للحكومة هو زى الإرهاب ولا بأس إذا أطلقنا عليها وصف شغبوب وعلى وزن شيبوب شقيق عنتر بن شداد .

الشغبوب والانترنت

وأبرز صفات شيبوب الذى أجاد تمثيله فى السينما المرحوم سعيد أبو بكر أنه كان شديد الحماس للشر ويحرص عليه ويفرح لأى مصيبة ويصفق لأى كارثة ويحمس الآخرين للقتال ثم يطلق ساقيه للريح عندما يبدأ المقاتلون فى استخراج السلاح . إن الحكومة الشغبوبية التى تحكم أفغانستان هى أول وآخر حكومة من نوعها على ظهر الأرض ولا أعتقد أنها ستستمر ، وليس هناك

احتمال لتكرارها فى المستقبل ، ولذلك لا أرى داعيا لإهدار الورق فى شرح كلمة شغبوب فى كتابى الجديد « لسان » ويمكن الاكتفاء ببثها على الانترنت ويمكن عقد ندوة ساخنة للنقاش حولها فى إحدى القنوات المتخصصة فى الشعبية فيتحاور حولها ثلاثة أو أربعة ، بشرط أن تنشب المعركة حول الكلمة منذ أول لحظة من الندوة ، فلا تفهم شيئا ولا تميز شيئا سوى بعض الشتائم وبعض اللعنات . وتكون هذه الندوة هى التفسير الحقيقى لكلمة شغبوب !

الاعتذار المناسب !

هل تذكرون فيلم جسر على نهر كواى ؟ وهل شاهدتم على الشاشة مأساة العساكر البريطانيين الذين وقعوا فى أسر الجيش اليابانى ؟ عساكر أشبه بضحايا الجوع فى أفريقيا . مجرد هياكل عظمية ، الأعشاب طعامهم والسراويل لباسهم ، وتسليتهم الوحيدة هى العمل تحت أسوأ الظروف فى بناء الجسر الذى كان الهدف من إنشائه سرعة وصول الأسلحة للجنود اليابانيين الذين يحاربون الجيش البريطانى فى الأحراش البعيدة ، ومن منا لم يهتز لمنظر الجنرال الإنجليزى الذى حبسوه فى حفرة تحت الأرض وفوق رأسه لوح من الصفيح تحت شمس حارقة بلغت الخمسين درجة مئوية . حدث هذا منذ ٥٥ عاما بالتحديد ، مئات من الجنود البريطانيين ماتوا

DVD4ARAB

تحت وطأة التعذيب ، والذين عاشوا منهم حسدوا الذين انتقلوا إلى رحمة الله ، والجميع عانوا من وحشية الكولونيل اليابانى الذى كان يدير معسكر الأسرى داخل إحدى الغابات على ضفة نهر كواى . وعندما طالبه الجنرال الإنجليزى بتطبيق اتفاقية جنيف فى معاملة الأسرى ، أمسك الكولونيل اليابانى بالاتفاقية وطوّح بها بعيدا وتساءل فى دهشة : وأين هى جنيف هذه ، هل هى فى مكان ما داخل الغابات ؟ ثم بكى فى النهاية واعتذر للجنرال الإنجليزى بعد أن أتم بناء الجسر . وقال له اعذرنى .. لقد كنت بين نارين . إما أن أمارس القتل فى الأسرى أو يقتلنى الجنرالات اليابانيون الذين يقيمون فى طوكيو ويعيشون هناك فى التبات والنبات !

عودة الموتى

هذا الحادث الرهيب الذى وقع على ضفة نهر كواى بين تايلاند وبورما والذى كان أبطاله من الجنود البريطانيين تحولوا إلى أشباح بفعل الجوع والعمل الشاق والتعذيب . هؤلاء الجنود الذين كان يجب أن يغادروا بريطانيا منذ زمن بعيد بعثوا أحياء ورأيتهم بعينى رأسى أحياء فى شوارع لندن هذا الأسبوع . أما المناسبة فهى

زيارة أمبراطور اليابان لبريطانيا . بدعوة من الملكة ، وبالرغم من استقبال الملكة له استقبالا رسميا ، وبالرغم من الدعوة التى وجهها رئيس الوزراء لشعبه بمنح الامبراطور استقبالا حارا ، إلا أن العساكر البريطانيين الذين أسرهم الجيش اليابانى وخصوصا فى المعسكر الذى حشدوا فيه العساكر لبناء جسر على نهر كواى . مئات من البريطانيين الأسرى احتشدوا على جانبى الطريق الذى اخترقه موكب الإمبراطور فى عربة مكشوفة إلى جوار الملكة . وقد رفعوا لافتات تحمل شعارات معادية للامبراطور بينما تصاعدت هتافاتهم بسقوط اليابان ، وبعضها يطالب الامبراطور بالاعتذار عن الإهانات التى لحقت بأسرى الحرب على يد الجيش اليابانى ، وبعضهم قام بإحراق العلم اليابانى أمام العربة الملكية التى أقلت الملكة وضيفها الامبراطور !

وجبات الدود

المضحك فى المؤتمر أن هؤلاء العساكر الذين اهتزت ضمائرنا لمأساتهم وأصبحوا الآن من العجائز المحطمين ، وأصغرهم على أبواب الثمانين ، وبعضهم يزحف بخطوات سريعة نحو المائة ، بينهم جنرالات وكولونيلات

DVD4ARAB

وكباتن وعساكر ، كلهم يعلقون على صدورهم أطنانا من الحديد هى أوسمة ونياشين حصلوا عليها بسبب شجاعتهم وبسالتهم فى ميدان القتال . بعضهم يحجل وبعضهم يعرج وبعضهم يتوكأ على عصاه وقلة قليلة منهم يندفعون للأمام على مقاعد تسير بالكهرباء . وبالرغم من العضلات الميتة والعيون التى انطفأ فيها النور والأيدى المرتعشة ، إلا أن نار الانتقام لم تخمد والرغبة فى الثأر لم تفتر ، أحدهم تجاوز الثمانين من العمر وكان برتبة كابتن قال فى حوار تليفزيونى جرى معه فى الشارع : اتهمونى بإثارة الشغب وحبسونى فى الحفرة وبعد يوم كامل شعرت بالجوع يفرى أمعائى ، وعندما طلبت طعاما أتونى بطبق من دود الأرض كان حيا ويزحف بعصبية ، واضطررت تحت وطأة الجوع أن التهم الدود كله ، وحتى اليوم كلما تذكرت ما حدث فى هذا المساء شعرت برغبة فى القيء ، وقال آخر وهو شاب فى الخامسة والسبعين : كنت مصابا فى ساقى وجرحى خطير ومملوء بصديد ، وعندما أبلغتهم رفضى للعمل فى السجن دس الضابط اليابانى سيجارته المشتعلة فى جرحى ، ولا أعرف كيف نجوت من الموت ولا كيف واصلت الحياة حتى الآن.وقال آخر كان جنديا برتبة نفر :

لقد كان للقائد اليابانى قرد محبوس فى قفص ، وكانوا يطعمون القرد موزا وتفاحا وأعواد القصب ، وعندما انحنيت على الأرض التقط قشرة الموز التى قذف بها القرد من قفصه ، انتزع الجندى اليابانى القشرة من يدى ثم التقطها ومسح بها حذاءه ثم سحقها بعد ذلك تحت حذائه فى الطين والتراب .

نصائح بلير

وفى المساء اضطر رئيس الوزراء بلير إلى مخاطبة الشعب البريطانى عبر التليفزيون ودعاه إلى نسيان الماضى . لأن ما حدث فى الحرب العالمية كان صفحة سوداء ارتكبت فيها كل الجرائم على الجانبين ، ولكنها الآن انتهت وانطوت ، وعلى الجميع الآن أن يواجهوا الواقع الجديد بالعلاقات بين بريطانيا واليابان فى الوقت الحاضر هى علاقة صداقة وتعاون هدفها التنمية الاقتصادية وخلق وظائف جديدة . ولكن المحاربين القدماء لم يقتنعوا بوجهة نظر رئيس الوزراء وقالوا إن ما ارتكبه اليابانيون أثناء الحرب هى جرائم لا تغتفر ، وقالت إحدى المجندات . لقد عانيت من ظروف التعذيب فى الأسر ما لا طاقة لبشر فى احتماله ، اشتغلت مضيفة

وخادمة وطباخة وخليلة لطيفة رغم أنفي ، ومع ذلك لم أحصل على قرش واحد تعويضا عما أصابني ، لا من الحكومة اليابانية ولا من الحكومة البريطانية . لقد تجاهلني الجميع واعتبروا ما حدث لي هو مجرد مصادفة سيئة .

الاعتذار المناسب

ويقول بعض الخبثاء إن ثورة المحاربين القدماء ليس هدفها الحقيقي هو الرغبة في الانتقام ، ولكن الهدف الحقيقي هو الحصول على التعويض . فاليابان هي أغنى دولة الآن على ظهر الأرض ، والإنجليز لا مؤاخذة أحوالهم ليست على ما يرام ، وهؤلاء الجنود الذين تعرضوا للتعذيب لديهم نياشين على قفا من يشيل ، ولكن ليس لديهم فلوس ، وهذه الحياة الجديدة بطلها الحقيقي ليس هو صاحب الشجاعة والشهامة ، ولكن بطل هذه المرحلة هو الدولار الأمريكي والجنيه الاسترليني والفرنك السويسري والين الياباني . والبطل الحقيقي في النظام العالمي الجديد ليس هو الذي يحمل أوسمة ولكن الذي يحمل دفتر شيكات . أما صاحب الأوسمة والنياشين فهو مجرد أنتيكا من زمن مضى . هل تعرفتم الآن على ملامح

النظام العالمي الجديد ؟ إنه ببساطة الفرق بين الكابتن آلن شيرر لاعب كرة القدم الذي اشتراه نادي نيوكاسل بعشرين مليون جنيه إسترليني ، والمارشال مونتجمري بطل معركة العلمين . الذي لو عرضوا أوسمته ونياشينه في مزاد لتوقف الثمن عند عشرة آلاف جنيه فمن يا ترى هو البطل الآن ؟ إنه الكابتن شيرر وملايينه العشرون بكل تأكيد ، وقلبي مع المحاربين الإنجليز القدماء واتمنى لهم هبرة كدبرة من جيب الامبراطور ، ليسددوا الفواتير التي انتشرت بشكل وبائي في بريطانيا ، وهذا يا سيدي الامبراطور هو الاعتذار الوحيد المناسب ، ولن يقبلوا أي اعتذار سواه !

DVD4ARAB

أهــــلا رمضــــان !

أعـرف نـاسـا لايزالون على قـيـد الحـيـاة اضطروا ذات مسـاء إلى سلف جلابيـة جزار كان عالقا بهـا بقايا قطع لحم وبقع دم وعملوا فـتة على مـرق الجلابـية وفطروا وانبـسطوا وحمـدوا الله . واعرف نجمـا من نجوم المجتـمع مات منذ سنوات كانت أمـه ترسله وهو صبى صغيـر يطوف حول مزارع كليـة الزراعة يلتقط لها الديوك الرومى الميتة التى تلقى بها المزرعـة خارج الأسوار . وبعض رجال الأعـمال المشـاهيـر الآن كانـوا حرفـيـين فى أيام الصـبـا المبكر ، وبعضهم كان من رواد قهوة الموظفين بتاعة الفنان صلاح جاهين .

لا فــرق الآن

وفى إحـدى القنوات الفضـائية شـاهدت برنامجـا بين مـذيعة كـركورة من بتـوع هذا الزمان وبين رجل مـسن تعـدى السبـعين منـذ سنوات ، وكان الحـوار عن شهـر رمضـان أيام زمان ، وخـير شهـر رمضـان أيام زمان ، ومتـعة رمضان أيام زمـان ثم الفارق بين رمضـان زمان ورمضان هذا الزمان .

حـيث أصـبح رمـضـان الجـديد يأتى ويروح دون أن يشعـر به أو يستـمتع بأجـوائه التى كان يحس بـهـا أيام زمـان ، والغـريب أن المذيعـة الكركـورة عـامت مع الموج ووافقت على كلام العجوز ، وأبـدت أسفها لأنها لم تدرك أيام زمـان ولم تستـمتع بمبـاهـج زمان . هل كـان الرجل العـجـوز يكذب ؟ بالتـأكـيـد لا ، ولكنه أخـطأ التـحليل . فرمـضـان زمان كان امـتـع وأحسن ولكن لأسبـاب أخرى لم يستطع إدراكها الرجل العجـوز .. فزمان كانت شوارع المدن مظلمة ، فإذا جاء رمضان اشتعلت الشوارع بالنور ، نور من بتـاع الحكومـة ونور قطاع خـاص على حسـاب الناس . ولذلك كـان رمضان فـرصة عظيمـة أمام العـيال

والصبية الصـغار فى ممارسة اللعب حتى ساعـة متأخرة من الليل . وفى غـير رمـضـان كان راديو القـاهرة ينهى إرساله فى الحادية عشرة مـساء ، ولكنه فى رمضان كان يواصل إرساله حتى الفجر ، وكـانت المحلات العامة تغلق أبوابها فى منتـصف الليل بالضبط ، وكان عسـاكر زمان بتوع الضبـط والربط يحرصون على تنفيـذ الأوامر ، فلا تجـد دكانا مـفتـوحـا بعد منتـصف الليل بثـانية أمـا فى رمضـان فالسـهر مبـاح والقهـاوى منورة وعامـرة حتى الصباح ، وفى غير رمـضـان أيام زمان كنا نحرص ونحن فى أيام الصبا على الذهاب إلى العتبة الخضرا لكى نتناول طبـقـا من الكنافـة من مـحل الحاج صـبـحى فى شـارع عبد العزيز ، وكان هذا اليوم من أول كل شهر يعتبر عيدا سـعـيدا لـنا نحن أطفـال ذلك الزمـان . زمن الثـلاثينات والأربعينات حتى فى الخمسينات. كنا نحن أبناء الموظفين والعمال لا نحلم بـأكل اللحمة مرة كل أسبـوع وأصحاب الحظ السعيد يأكلونها مرتين كل أسبوع . أما فى رمضان فكان اللحم طبـقا رئيـسـيا على مـائدة الإفطار كل يوم ، لذلك كانت بهجة رمضـان أعظم ولذته أكبر ، وكان الفرق واضحا بين رمضان وغيره من الشهور والأيام .

الحفيد والفيديو

أما الآن ، فلا يوجد فرق بين رمـضـان وغير رمضان ، الشوارع منورة لـيلا ونهارا أيضـا ، والقهـاوى مفتـوحة على مدى الأربع والعـشرين ساعـة بلا انقطاع ، الإذاعات المحلية والعربيـة والدولية لا تكف عن الإرسـال ، والقنوات التليفـزيونية الفـضـائية العـربية والدوليـة مفتـوحة على ودنه ، مسلسـلات على برامج على أخبار على مـباريات ، ومحلات الكنافة أكثر من مـحلات اللب . لم تعد لرمضان مبـاهج يختص بهـا وليس لها وجود فـى غير رمـضـان . أصبـحت كل شهورنا رمـضـان . ولم نعد نحـتاج للذهاب عند شاطئ النيل لنشاهد إطلاق مـدفع رمضان ، وبعدها نهرول إلى منازلنا لنبشرهم بأن مدفع الإفطار انطلق منذ لحظات لأن كل شـارع فى القـاهرة وفى المدن به عـشر ميكروفونات على الأقل ترفع أذان المغرب وكل أذان . وكنا نضطر ونحن فى سن الشـبـاب إلى الذهاب إلى مـسـجـد الحسـين ومسـجد السيـدة زينب نستمـع إلى التلاوة من مشـاهيـر المقرئين فى الحـفلات الدينيـة التى كانت تـقام خلال الشـهر المبارك . أما الآن فـتستطيع أن تسـتمع لمن

DVD4ARAB

تشاء من الإذاعات ومن التليفزيونات والكاسيتات واسطوانات الليزر ومن خلال أجهزة الفيديو التى يجيد التعامل معها حفيدى أكرم وأفشل فى التعامل معها حتى الآن .

سلم الترماى

تغير الزمان وتغيرت الأيام وتغيرت الأحوال ، ولكن بعض الناس تحن إلى أيام زمان ، مع أن أيام زمان كانت آخر غم وآخر غلب وآخر فقر وآخر جفاف . وفى الثلاثينات من هذا القرن كان جدى الشيخ معوض يأتى إلى القاهرة فى مركب شراعى ويحتاج لعدة أيام للوصول إلى القاهرة .

صدقونى إذا قلت لكم أيامكم أفضل وأجمل ، وأن الحياة صارت سهلة حتى بالنسبة لأفقر الفقراء ، ونصف الشعب المصرى على الأقل سافر خارج الحدود ، البعض للعمل والبعض لمهمة والبعض للسياحة والبعض للعلاج ، وزمان عاش الملايين وماتوا دون أن يغادروا قراهم أو مدنهم ، ولم يحلموا يوما بمغادرتها إلى أى مكان ، وأحد أعمامى سافر إلى الخارج عندما اختطفته السلطة للعمل

فى فلسطين بالسخرة لخدمة المجهود الحربى فى الحرب العالمية الأولى وبدون أجر على الإطلاق . وأفراد شلتنا كانت ظروفهم متشابهة مع أن أولياء أمورنا كانوا يعملون فى مهن مختلفة ، منهم العمال ومنهم الموظفون ومنهم الضباط . وكنا ونحن طلبة نتحسس جيوبنا قبل أن نفكر فى الجلوس على القهوة ، وفى أوقات كثيرة كنا نعود إلى بيوتنا بعد مشاهدة السينما شعبطة على سلم الترماى .

مرحبا بالمستقبل

وأقول لشباب هذا الأيام ، ظروفكم أسعد من ظروفنا ، وأحوالكم أحسن من أحوالنا ، بالرغم من عدم وجود شغل وعدم وجود وظائف . صحيح أن الشقة زمان كانت بثمانين قرشا ولكن أصحاب البيوت كانوا يطلقون البخور لاجتذاب السكان لأن الثمانين قرشا لم تكن متوافرة لأى شباب ، وكل الذين ترونهم الآن من المشاهير والمنتقدين كتبوا فى شبابهم طلبات استخدام لرئيس المصلحة أو رئيس الشركة يطلبون عملا . وجعلكم الله زخرا للعاطلين والفقراء وكنا فى شبابنا المبكر نتفادى المرور فى بعض

الشوارع هربا من القهوجى وصاحب دكان السجاير .

لا تصدقوا أيها الخلان ما يقال لكم عن رخاء أيام زمان وبلهنية العيش زمان ، والوفرة أيام زمان ، فلم يكن ينعم بالعيش أيام زمان إلا حفنة من البشوات وحفنة من البكوات وعدد من عمد الريف وأعيان البلاد . ومعهم بالطبع عدد كبير من الخواجات أصحاب المصانع والمزارع وبعض اليهود أصحاب دكاكين الفضة والذهب الرنان .

أسأل الله أن يعذبهم جميعا بقدر ما امتصوا من دم شعبنا فى سالف الأيام . ومرحبا بالأجيال الجديدة السعيدة المقبلة !

الفهرس

الصفحة

مقدمة .... (٥)

مسافر بلا متاع .... (١١)

لا جريدة ولا مجلة .... (١٩)

طويل العمر .... (٢٥)

حكومة وعكومة .... (٣٣)

لعبة غزالى ! .... (٣٩)

وتكلم السيف ! .... (٤٦)

ضغط الدم .... (٥٣)

الطفل الثائر .... (٦١)

الأطلنطى وفاسو ! .... (٦٨)

ترعة المانش .... (٧٤)

حلاوة زمان ! .... (٨٣)

DVD4ARAB

الصفحة

البركان .. والفاسو ! .... (٩٤)
الولد ولعة ! .... (١٠٠)
الحاج فرج الله .. الإنجليزى ! .... (١٠٧)
منظمة مشمش .... (١١٤)
شهر الأحزان ! .... (١٢١)
الشغب والشغبوب ! .... (١٢٩)
الاعتذار المناسب ! .... (١٣٥)
أهلا رمضان ! .... (١٤٢)

DVD4ARAB